جامعة ستاردوم

مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية

- مجلة ستاردوم العلمية المحكمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية -

تصدر بشكل ربع سنوي عن جامعة ستاردوم

العدد الثاني - المجلد الرابع 2026م

رقم الإيداع الدولي: ISSN 2980-3772

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هيئة تحرير مجلة ستاردوم العلمية للعلوم" الإنسانية والاجتماعية "

رئيس التحرير

أ.د. يسن إبراهيم بشير علي - السودان

مدير التحرير

د. أمحمد واحميد - المغرب

المدقق اللغوي

د. باسم الفقير - الأردن

أعضاء هيئة تحرير

د. ناجي محمد حامد - السودان
د. عبد الرزاق القيمة - المغرب
د. ماهر جاسب حاتم الفهد - العراق
د. عبد العزيز إبراهيم مناضل - المغرب
أ.د. ميرفت صدقي عبد الوهاب - مصر

الهيئة الاستشارية

أ.د. إسماعيل محمد مونتانا - أمريكا
أ.د. عوض إبراهيم عوض - السودان
أ.د. حاتم عبد الرحمن الطحاوي - مصر
أ.د. بلقاسم محمد حمام - الجزائر
أ.د. عمر أحمد المصطفى حيّاتي - السودان
أ.د. كامل قريد سمير بن محمد - الجزائر
أ.د. نضال محمد الشمالي - الأردن
أ.د. خالد محمد الخولي - مصر
أ.د. محمد نجيب بوطالب - تونس
أ.د. علي عبد الهادي عبد الله المرهج - العراق
أ.د. محمد أبو الحسن مختار - السودان
أ.د. عزّة محمد جدُّوع - مصر
أ.د. هشام بن الهاشمي - المغرب
د. البكاي ولد عبد الملك - موريتانيا
أ.د. أحمد يحيى الزهيري - العراق

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لمجلة ستاردوم العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

آليات بناء القيم الوطنية في الخطاب الشعري الاحتفائي: دراسة حجاجية عرفانية

في نماذج مختارة من شعر الدكتور عبد الله الخضير

Mechanisms for Constructing National Values in Celebratory Poetic Discourse: An Argumentative-Cognitive Study of Selected Poems by Dr. Abdullah Al-Khudair

أ.د. عبد الحكيم أحمد سر الختم جيني

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

ملخص بحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن آليات بناء القيم الوطنية في الخطاب الشعري الاحتفائي لدى الدكتور عبد الله الخضير، من خلال تحليل نماذج من نصوصه الشعرية المرتبطة بالمناسبات الوطنية الاحتفائية. وذلك بإبراز الاستراتيجيات الحجاجية والتمثيلات العرفانية التي وظفها الشاعر في تحويل المناسبة الزمنية إلى بنية قيمية تسهم في ترسيخ الوعي الجمعي. وتنبع أهمية البحث من سعيه إلى إعادة النظر في الشعر الاحتفائي الذي ظل مهمشاً في كثير من الدراسات النقدية، بوصفه شعراً منبرياً عابراً، في حين تكشف تجربة الخضير عن قدرة هذا الخطاب على توظيف استراتيجيات حجاجية عرفانية تؤدي إلى ترسيخ قيم وطنية، وأداء، وظائف دلالية وثقافية. ويتجاوز البحث بذلك حدود الاحتفاء المباشر.

اعتمد البحث منهجاً تحليلياً تكاملياً يجمع بين التداولية الحجاجية واللسانيات العرفانية، من خلال توظيف مجموعة من الآليات العرفانية، مثل الاستعارة التصورية، والمخططات الذهنية، والمزج المفهومي، والتجسد الإدراكي، وذلك للكشف عن تفاعل البنية الحجاجية مع البنية الإدراكية في تشكيل مفاهيم الهوية الوطنية والانتماء داخل الخطاب الشعري.

وقد أظهرت النتائج أن الشاعر يوظف عدداً من الاستراتيجيات الخطابية التي تسهم في بناء القيم الوطنية، من أبرزها الاستعارات الأنطولوجية التي تحول المفاهيم المجردة إلى كيانات إدراكية ملموسة، مثل تمثيل جبل طويق بوصفه رمزاً للهوية والصلابة. كما يعتمد الخطاب على استراتيجية القدوة عبر استحضار الرموز القيادية لتعزيز مشروعية القيم الوطنية. وتشير النتائج كذلك إلى أن الشعر الاحتفائي في تجربة الخضير يتجاوز المناسبة إلى ممارسة خطابية واعية تسهم في تشكيل الوعي الوطني لدى المتلقي.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب الشعري الاحتفائي، الحجاج، الاستعارة التصورية، القيم الوطنية، العرفانية.

Abstract

This study aims to explore the mechanisms through which national values are constructed in the celebratory poetic discourse of Dr. Abdullah Al-Khudair by analyzing selected poems composed for national commemorative occasions. It examines the argumentative strategies and cognitive representations employed by the poet to transform a temporal occasion into a value-based structure that reinforces collective consciousness. The significance of the study lies in its attempt to reassess celebratory poetry, which has often been marginalized in literary criticism as merely occasional or ceremonial verse. Al-Khudair's poetic experience, however, demonstrates the capacity of this discourse to employ cognitive-argumentative strategies that consolidate national values while performing significant semantic and cultural functions. In this way, the study moves beyond the notion of poetry as a simple expression of celebration.

The research adopts an integrative analytical approach that combines argumentative pragmatics with cognitive linguistics. It employs a range of cognitive analytical tools, including conceptual metaphor, image schemas, conceptual blending, and embodied cognition, in order to investigate the interaction between argumentative structure and cognitive structure in shaping the concepts of national identity and belonging within the poetic discourse.

The findings reveal that the poet employs several discursive strategies that contribute to the construction of national values. Among the most prominent are ontological metaphors, which transform abstract concepts into concrete cognitive entities, such as representing Mount Tuwaiq as a symbol of national identity and resilience. The discourse also relies on the strategy of exemplification by invoking national leaders as symbolic models to reinforce the legitimacy of national values. Furthermore, the findings indicate that celebratory poetry in Al-Khudair's work transcends the immediate occasion, functioning as a conscious discursive practice that contributes to shaping the recipient's national consciousness.

Keywords:
Celebratory poetic discourse; Argumentation; Conceptual metaphor; National values; Cognitive linguistics.

مقدمة بحث:

يمثل الشعر الاحتفائي أحد الأنماط الشعرية التي صاحبت التجربة الشعرية العربية منذ عصور مبكرة، إذ ارتبط بالأحداث الكبرى والمناسبات الاجتماعية والسياسية، فكان وسيلة للتعبير عن مشاعر الجماعة وإبراز منظومة القيم التي تتقاسمها. وقد أتاح هذا النمط الشعري مساحة للتفاعل بين الشاعر والواقع، حيث تتجلى فيه مظاهر الانتماء والولاء والاعتزاز بالهوية.

وعلى الرغم من هذا الحضور، فقد ظل الشعر الاحتفائي في كثير من الدراسات النقدية الحديثة محاطاً بنوع من التهميش، إذ ينظر إليه – غالباً – بوصفه شعراً مرتبطاً بالمناسبة الزمنية العابرة أكثر من ارتباطه بالبنية الدلالة الفكرية العميقة. غير أن المقاربات النقدية المعاصرة فتحت آفاقاً جديدة لإعادة قراءة هذا اللون من الشعر والكشف عن أبعاده الخطابية والإقناعية، إذ لم يعد يُنظر إليه بوصفه مجرد تعبير عن انفعال آني، بل خطاباً يسهم في بناء منظومة من القيم وترسيخها في الوعي الجمعي.

وفي هذا، تبرز تجربة الدكتور عبد الله الخضير(*) بوصفها نموذجاً لافتاً في الشعر الاحتفائي المعاصر، حيث تتداخل في نصوصه عناصر الاحتفاء بالوطن والقيادة والتاريخ، مع حضور كثيف للرموز الثقافية والدينية. ولا تكتفي قصائد الخضير بوصف اللحظة الاحتفائية، بل تسعى إلى بناء خطاب قيمي يستثمر عناصر الجغرافيا والتاريخ والرمز الثقافي في تشكيل تصور جمعي للهوية الوطنية.

ومن هذا المنطلق، يسعى البحث إلى تحليل آليات بناء القيم الوطنية في الخطاب الشعري الاحتفائي لدى الخضير، من خلال مقاربة تجمع بين التحليل الحجاجي والرؤية العرفانية، للكشف عن الاستراتيجيات الخطابية والإدراكية التي تسهم في ترسيخ مفاهيم الانتماء والهوية داخل النص الشعري.

مشكل البحث:

يتمحور مشكل البحث حول السؤال الرئيس الآتي:

كيف وظف الشاعر عبد الله الخضير الخطاب الشعري الاحتفائي بوصفه استراتيجية حجاجية وعرفانية لبناء القيمة الوطنية وترسيخها؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة من التساؤلات الفرعية:

ما الأفعال الكلامية والمؤشرات التداولية التي تمنح النص الشعري قوته الإنجازية وقدرته التأثيرية في سياقات المناسبات الوطنية؟

كيف تسهم الاستعارات التصورية والمخططات الذهنية في تحويل الرموز الوطنية من مفاهيم مجردة إلى حقائق إدراكية راسخة في ذهن المتلقي؟

إلى أي مدى يحقق المزج المفهومي بين بنية الحجة وبنية الإدراك تشكيل نموذج القدوة لتعزيز قيم الانتماء والولاء داخل الخطاب الشعري للدكتور الخضير؟

منهج البحث

لتحقيق أهداف البحث، اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي التكاملي، الذي يزاوج بين المقاربة التداولية ذات البعد الحجاجي والمقاربة العرفانية، بما يتيح الإحاطة بالظاهرة الشعرية في أبعادها الإقناعية والإدراكية، والكشف عن آليات إنتاج المعنى وتلقيه.

وانطلقت البحث في مستواه التداولي، من المقاربة الحجاجية للكشف عن البنية الاستدلالية للخطاب، والسلالم الحجاجية، والقوة الإنجازية للأفعال الكلامية، مستندةً إلى نظرية الحجاج عند (بيرلمان وتيتيكا) وإلى نظرية أفعال الكلام عند (أوستن وسيرل) وذلك لتحليل الكيفية التي يمارس بها النص الشعري فاعليته الإقناعية في المتلقي.

كما أفاد البحث من المقاربة العرفانية في تحليل العمليات الإدراكية الكامنة وراء بناء المعنى، مستندة إلى نظرية الاستعارة التصورية عند (ليكوف وجونسون) لتفسير آليات إسقاط الخصائص الحسية والمجالية على المفاهيم الوطنية المجردة، وإلى نظرية المزج المفهومي عند (فوكونييه وتيرنر) للكشف عن كيفية تشكل البنى الرمزية الوطنية في ذهن المتلقي، وما تتيحه من إنتاج دلالات جديدة تتجاوز المعنى المباشر.

ويقوم هذا التكامل المنهجي على أن الخطاب الشعري لا يقتصر على بناء الحجج وإقناع المتلقي، وإنما يسهم كذلك في تشكيل تصوراته الذهنية وإعادة تنظيم خبراته الإدراكية. ومن ثم فإن الجمع بين المقاربة التداولية والمقاربة العرفانية لا يمثل مجرد توظيف لمنهجين متجاورين، بل ينسجم مع طبيعة الخطاب الاحتفائي في شعر الخضير، إذ تتولى المقاربة الحجاجية تفسير آليات الإقناع وبناء المواقف، بينما تكشف المقاربة العرفانية عن البنى التصورية التي تؤسس لتمثلات الوطن في الوعي، وبذلك تتكامل المقاربتان في بيان الكيفية التي تتحول بها القصيدة الوطنية من خطاب يسعى إلى الإقناع إلى فضاء معرفي ورمزي يعيد تشكيل إدراك المتلقي وهويته الوطنية.

أهمية البحث:

تقديم مقاربة نقدية حديثة تزاوج بين الحجاج واللسانيات العرفانية في تحليل الشعر الاحتفائي .

تجاوز القراءات الانطباعية التقليدية نحو تحليل الأبنية الذهنية وآليات تشكل المعنى في وعي المتلقي .

إعادة تقييم شعر المناسبات بوصفه خطاباً استراتيجياً فاعلاً في تشكيل الوعي الجمعي وتوجيهه.

إبراز البعد الفلسفي والإدراكي للنص الشعري بوصفه أداة لبناء النسق القيمي والثقافي .

الكشف عن آليات ترسيخ القيم الوطنية في ظل التحولات التنموية المعاصرة .

تقديم نموذج تحليلي تطبيقي لمدونة شعرية معاصرة يمثل مرجعاً في الدراسات النقدية.

أسباب اختيار الموضوع:

تضافرت أسباب كثيرة دفعت الباحث إلى تناول هذا البحث، من أبرزها:

اهتمام الباحث ورغبته في إعادة قراءة الشعر الاحتفائي قراءة نقدية حديثة تكشف أبعاده الحجاجية والعرفانية.

تجربة الدكتور عبد الله الخضير التي تمثل ثراء دلالياً ورمزياً في بناء الخطاب الوطني، مما يجعلها مادة خصبة للتحليل الحجاجي العرفاني.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

الكشف عن الأدوات الحجاجية الموظفة في الخطاب الشعري الاحتفائي لدى الخضير، وبيان فاعليتها في تحقيق التأثير والإقناع .

تحليل آليات تحويل الرموز والمنجزات الوطنية من مفاهيم مجردة إلى تمثلات إدراكية عبر الاستعارة التصورية والمخططات الذهنية .

إبراز تفاعل البنية الحجاجية مع البنية الإدراكية في تشكيل مفاهيم الولاء والانتماء الوطني لدى المتلقي .

بيان دور الشاعر بوصفه فاعلاً ثقافياً يسهم في إنتاج القيم وبناء الخطاب الوطني .

إعادة قراءة شعر المناسبات في ضوء مقاربة عرفانية حجاجية تتجاوز اختزاله في التعبير الانفعالي الوقتي .

استجلاء آليات المزج المفهومي في تمثيل التحولات الوطنية والرموز السيادية داخل النسق الشعري.

فرضيات البحث:

ينطلق البحث من فرضية مركزية مفادها أن الشاعر يوظف الخطاب الشعري الاحتفائي بوصفه استراتيجية حجاجية وعرفانية فاعلة لبناء القيم الوطنية وترسيخها في الوعي الجمعي لدى المتلقي. وتتفرع عن هذه الفرضية مجموعة من الفرضيات الفرعية، تتمثل فيما يلي:

1-أن الأدوات التداولية والأفعال الكلامية في خطاب الخضير تسهم في تحقيق التأثير والإقناع في سياق المناسبات الوطنية.

2-أن الاستعارات التصورية والمخططات الذهنية تسهم في تحويل الرموز الوطنية من مفاهيم مجردة إلى تمثلات إدراكية ملموسة لدى المتلقي .

3-أن المزج المفهومي بين بنية الحجة وبنية الإدراك يسهم في ترسيخ مفاهيم الولاء والانتماء الوطني وتعزيز نموذج القدوة في الخطاب الشعري .

4-أن الخطاب الشعري الاحتفائي لدى الخضير يتجاوز الوظيفة الوقتية للمناسبة، ليؤسس نسقاً قيمياً وإدراكياً في الوعي الوطني .

5-أن استحضار الرموز الوطنية الكبرى والتحولات المعاصرة يعزز فاعلية الخطاب الاحتفائي في بناء الهوية الوطنية وترسيخها.

حدود البحث:

اعتمد البحث على نماذج مختارة من شعر الدكتور عبد الله الخضير تمثل خطابه الاحتفائي، وهي أبيات شعرية متنوعة تم انتقاؤها بعناية تعكس مراحل التحول وآليات البناء الحجاجي في خطابه الشعري. وتتجلى مشروعية هذا الاختيار في طبيعة المنهج المتبع، إذ لا تستهدف المقاربة الحجاجية والعرفانية الاستقصاء الإحصائي الكمي، بل الغوص في بنيات الوعي وآليات المزج المفهومي في النص. كما تحقق النماذج المختارة الاكتمال التحليلي، إذ تغطي الأبعاد الرئيسة للهوية الوطنية، سواء المكانية أو الرمزية أو القيادية، بما يجعلها عينة ممثلة للمنظومة القيمية في تجربة الشاعر، وتجنب التكرار الوصفي الذي لا يضيف قيمة تحليلية جديدة إلى النص الشعري.

الدراسات السابقة

على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت تجربة الدكتور عبد الله الخضير الشعرية، فإن معظمها انصرف إلى الجوانب الأسلوبية أو السيميائية، ولم يعالج الخطاب الشعري الاحتفائي من منظور يجمع بين الحجاج واللسانيات العرفانية. ومن أبرز هذه الدراسات:

الغنام، إلهام، الظواهر الأسلوبية في شعر عبد الله الخضير. تناولت الدراسة الخصائص الأسلوبية في شعر الخضير، مركزةً على البنية اللغوية والوسائل التعبيرية، دون أن تتناول آليات الحجاج أو البنية الإدراكية للخطاب.

قراءات نقدية في ديوان (هذا قدري). قدم هذا الكتاب مجموعة من القراءات النقدية التي ركزت على الجوانب الفنية والجمالية في الديوان، إلا أنها لم تعتمد إطاراً تداولياً أو عرفانياً في تحليل النصوص.

الصبي، سوسن ناجي. صورة الأحساء في شعر عبد الله الخضير: دراسة وصفية نفسية . انصبت الدراسة على تمثلات المكان من منظور وصفي نفسي، ولم تتناول آليات بناء القيم الوطنية أو وسائل الإقناع في الخطاب.

العفوري، حسام عزمي . الصورة والأصوات المنعكسة في ديوان (مرايا من روحي) . مجلة فرقد الإبداعية، 2018. اهتمت الدراسة بالبنية التصويرية والإيقاعية، ولم تبحث في الوظائف الحجاجية أو الأبعاد العرفانية للخطاب الشعري.

بشير، ياسين . شعرية العنوان في ديوان عبد الله الخضير (ليتني أنا.. وألتقي بي) .مجلة الدارة، 2023. انصبت الدراسة على تحليل العنوان بوصفه عتبة نصية، دون التطرق إلى الخطاب الاحتفائي أو آليات بناء القيم الوطنية.

وتكشف هذه الدراسات، على اختلاف مناهجها، عن اهتمام واضح بالجوانب الفنية والموضوعية في شعر عبد الله الخضير، إلا أنها لم تتناول الخطاب الشعري الاحتفائي بوصفه خطاباً حجاجياً عرفانياً يسعى إلى بناء القيم الوطنية من خلال تفاعل آليات الإقناع مع البنى الإدراكية.

وانطلاقًا من ذلك، فهذا البحث يتميز في عدة جوانب، فهو يتجاوز القراءة الوصفية التقليدية إلى تحليل كيفية اشتغال الخطاب الاحتفائي في إنتاج الأثر الإقناعي، كما يدرس تمثل القيم الوطنية في ضوء اللسانيات العرفانية، ويقدم مقاربة تكاملية تجمع بين نظرية الحجاج واللسانيات العرفانية، بما يتيح الكشف

عن آليات بناء المعنى الوطني في الخطاب الشعري الاحتفائي، وهو جانب لم تتناوله الدراسات السابقة – في حدود اطلاع الباحث – بهذه الصيغة المنهجية المتكاملة.

النتائج المتوقعة:

من المتوقع أن يحقق البحث النتائج التالية:

إثبات القوة الإنجازية للخطاب الشعري، من خلال قدرة الخضير على تحويل النص من مجرد تعبير عاطفي إلى فعل كلامي إنجازي يسهم في ترسيخ معاني الولاء والشرعية لدى المتلقي .

تجلي الاستعارات الأنطولوجية، عبر إبراز أن الرموز الوطنية في شعر الخضير، مثل (جبل طويق) تتجاوز كونها صوراً بلاغية لتتحول إلى حقائق إدراكية ملموسة تسهم في تجسيد المفاهيم الوطنية المجردة .

فاعلية حجاج القدوة والنموذج، من خلال توظيف الرموز القيادية والتاريخية بما يعزز قبول القيم الوطنية ويقوي مستوى الإذعان لدى المتلقي .

تكامل المسارين الحجاجي والعرفاني، حيث تمثل الاستعارة العرفانية جسراً إدراكياً يعبر من خلاله الحجاج، فيبني الاقتناع، بينما تسهم الاستعارة في ترسيخ التصور الذهني .

تصنيف الخطاب الاحتفائي استراتيجية واعية تتجاوز المناسبة اللحظية لتسهم في توجيه الإدراك الثقافي وتشكيل ملامح الهوية الوطنية الجامعة.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة. تتناول المقدمة الإطار العام للدراسة، من حيث الإشكالية، والأهمية والأهداف والمنهج. أما المبحث الأول فقد جاء بعنوان: الحجاج وأبعاد الاستعارة التصورية، وهو مبحث نظري يؤصل للمرتكزات المفاهيمية والمنهجية التي يقوم عليها البحث، حيث يعالج في مطلبه الأول ماهية الخطاب الاحتفائي وقوته الإنجازية، من خلال إبراز طبيعته بوصفه خطاباً يسعى إلى ترسيخ القيم وتعزيز الانتماء، مع الوقوف عند أبعاده التداولية المرتبطة بالحجاج واللاوعي المعرفي، ودور أفعال الكلام في إنتاج أثر إقناعي يتجاوز حدود الوصف إلى الفعل والتأثير. وفي مطلبه الثاني يتناول آليات الحجاج واستراتيجيات الإقناع الشعري، من خلال رصد أهم الوسائل الحجاجية المعتمدة في الخطاب الاحتفائي، مثل الحجاج بالقدوة، والسلم الحجاجي، وغير ذلك، مع إبراز دور الإيتوس في بناء الصورة، إضافة إلى توظيف الأطر الإدراكية المشتركة والحجاج القائم على الواقع بما يعزز قابلية القيم للتلقي

والقبول. ويتطرق المطلب الثالث إلى الاستعارة التصورية وآليات بناء المعنى، حيث يعرض لأهم المفاهيم المرتبطة باللسانيات العرفانية، مثل الذهن المتجسد، والإسقاط التصوري، والمخططات الذهنية، والمزج المفهومي، مبرزاً دور هذه الآليات في تنظيم التجربة المعرفية وتشكيل المعنى داخل الخطاب بما يربط بين الإدراك والحجاج في بناء الدلالة.

أما المبحث الثاني فجاء بعنوان: آليات بناء القيمة الوطنية، وهو مبحث تطبيقي يسعى إلى اختبار المرتكزات النظرية السابقة من خلال تحليل نماذج من الخطاب الشعري الاحتفائي لدى الخضير، والكشف عن طرائق بناء القيمة الوطنية في ضوء تداخل اللسانيات العرفانية وتداولية الحجاج. فيعالج المطلب الأول من هذا المبحث مسألة أنسنة المكان وبناء الشرعية، من خلال تحليل كيفية تحويل الجغرافيا إلى كيان دلالي حامل للقيم، عبر توظيف رموز مثل جبل طويق بوصفه علامة على الرسوخ والقوة، ونخل الأحساء بوصفه رمزاً للذاكرة والانتماء، إضافة إلى سيميائية الزي الوطني بوصفه تمثيلاً بصرياً للهوية. ويتناول المطلب الثاني التمثيل الجسدي للقيمة الوطنية وإيتوس التأثير، من خلال رصد تمثلات الذهن المتجسد في الخطاب، حيث تُصاغ القيم الوطنية في صورة خبرات حسية وتجارب معيشة، فيتحول الوطن إلى حضور يجري في الجسد، كما يتم إبراز حضور الإقناع القائم على الفعل والإنجاز في تمثلات العقل السعودي في المحافل الدولية. أما المطلب الثالث فيعالج استراتيجية المزج المفهومي وبناء الهوية، من خلال تحليل كيفية دمج فضاءات معرفية وتاريخية متعددة، بما يتيح بناء فضاءات ذهنية مركبة تربط بين الماضي والحاضر، وتجمع بين الأصالة والحداثة، عبر مزج رموز التاريخ مع مشروع الدولة المعاصرة، بما يسهم في إنتاج معنى جديد يعزز استمرارية الهوية الوطنية في بعدها الإدراكي. ويختتم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج إلى جانب التوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الحجاج وأبعاد الاستعارة التصورية

يمثل هذا المبحث إطاراً نظرياً يؤصل للمرتكزات المنهجية التي يقوم عليها البحث، حيث تقوم المقاربة الحجاجية العرفانية بتحول نوعي في تحليل الخطاب الشعري، إذ لم يعد النص يُدرس بوصفه بنية جمالية مكتفية بذاتها، بل بوصفه فعلاً تواصلياً يتفاعل مع سياق إنتاجه وتلقيه فيؤدي وظائف إقناعية تتجاوز حدود اللغة إلى التأثير في الوعي الجمعي (صولة، 2011، ص. 13).

وتتكامل في هذه المقاربة آليات التداولية في بعدها الحجاجي فتعنى بكيفية اشتغال اللغة في السياق، مع اللسانيات العرفانية التي تدرس تمثلات المعنى في الذهن البشري، بما يسهم في الكشف عن البنية الإدراكية للحجاج داخل الخطاب. ومن ثم فإن هذا المبحث يسعى إلى ضبط المفاهيم المركزية التي تحكم تحليل الخطاب الاحتفائي من خلال ثلاثة مطالب تتناول ماهيته، وآلياته الحجاجية، وأبعاده الاستعارية العرفانية.

المطلب الأول: ماهية الخطاب الاحتفائي وقوته الإنجازية

تتحدد ملامح الخطاب الاحتفائي في ضوء المقاربة الحجاجية بوصفه خطاباً تأسيسياً يهدف إلى ترسيخ نسق من القيم المشتركة داخل الوعي الجمعي أكثر من كونه وسيلة مباشرة للإخبار أو الإقناع الجدلي. فهو خطاب يتجه إلى تعزيز الانتماء وترسيخ الهوية، عبر استدعاء أنساق أخلاقية ووطنية ودينية تُقدم في صورة بديهيات مسلم بها، مما يمنحه طابعاً توجيهياً غير مباشر يقوم على الإقناع الضمني (العمري، 2002، ص. 70–71؛ سيرل، 2003، ص. 102–105؛ مشبال، 2017، ص. 88–92؛ الغذامي، 2005، ص. 75–79).

ويندرج هذا الخطاب ضمن ما تصفه التداولية الحجاجية بالخطابات التي تسعى إلى تقوية التمسك بالقيم، حيث لا يكون الهدف تغيير موقف المتلقي بقدر ما هو تعزيزه وتثبيته من خلال بناء أرضية مشتركة بين المتكلم والجمهور. ومن هنا تتجلى قوة الخطاب الاحتفائي في قدرته على تحويل القيم المجردة إلى مسلمات ذهنية، تُستدعى بوصفها حقائق لا تحتاج إلى برهنة مباشرة. وتبرز القوة الإنجازية لهذا الخطاب من خلال علاقته بنظرية أفعال الكلام، حيث تتحول البنية اللغوية من مجرد وسيلة للوصف إلى أداة لإنجاز أفعال اجتماعية ورمزية. فالأقوال في هذا السياق لا تكتفي بالإخبار، بل تؤدي وظائف التزامية وتوجيهية، تُنتج أثراً عملياً في سلوك المتلقي، وتجعل من الخطاب شكلاً من أشكال الفعل الاجتماعي الذي يسهم في بناء القيم وتثبيتها.

كما يستند الخطاب الاحتفائي إلى ما يمكن تسميته بـ (سيكولوجية الحجاج) وهو مجال دراسي يهتم بالعمليات النفسية التي تحكم استجابة الأفراد للحجج. حيث يتم استثمار البنية الإدراكية المستقرة في ذهن المتلقي، بما يجعل القيم المطروحة تبدو منسجمة مع خبرته المعرفية السابقة. وبهذا يتحقق نوع من الاشتراك الضمني بين الخطاب والمتلقي، يُفضي إلى قبول القيم بوصفها امتداداً طبيعياً لبنيته الذهنية، لا طرحاً خارجاً عنها.

المطلب الثاني: آليات الحجاج واستراتيجيات الإقناع الشعري

يقوم الحجاج في الخطاب الشعري الاحتفائي على مجموعة من الآليات التي تهدف إلى بناء القناعة لدى المتلقي عبر استراتيجيات تعتمد على التسليم بالمقدمات المشتركة وتعزيزها. ويعد هذا النمط من الحجاج امتداداً لما تصفه التداولية الحجاجية بالحجاج الذي لا يفترض وجود خصم، بل ينطلق من أرضية اتفاق مسبق بين المتكلم والمخاطبين (العزاوي، 2006، ص. 43–45).

ومن أبرز هذه الآليات، الحجاج بالقدوة القائم على الإيتوس الحجاجي، حيث تُستدعى الشخصيات والرموز بوصفها تمثيلات مثالية للقيم، مما يمنح الخطاب قوة إقناعية نابعة من تجسيد المعنى في صورة حية (صولة، 2011، ص. 55) كما يُوظَّف السلم الحجاجي بوصفه أداة لتنظيم الحجج تصاعدياً، بحيث يقاد المتلقي تدريجياً نحو النتيجة المرجوة في إطار من الترابط المنطقي والانسجام الدلالي. وتتجلى كذلك فاعلية الحجاج القائم على بنية الواقع حيث يتم ربط القيم المجردة بمظاهر محسوسة أو علاقات قائمة بين الأشياء بما يحولها إلى حقائق قابلة للاستيعاب (صولة، 2011، ص. 49).

ومن منظور عرفاني، يعتمد هذا النمط من الحجاج على استثمار الأطر الذهنية المشتركة، التي تسهم في جعل المعاني المطروحة منسجمة مع توقعات المتلقي. ويؤدي ذلك إلى تحقيق مبدأ الملاءمة التداولي، حيث يُقدَّم الخطاب في صورة تحقق أقصى قدر من الفائدة الإدراكية بأقل جهد ذهني، مما يعزز من سرعة تقبله وترسيخه في الوعي (روبول وموشلر، 2003، ص. 105–110).

المطلب الثالث: الاستعارة التصورية وآليات بناء المعنى

الاستعارة التصورية من أهم المرتكزات التي تقوم عليها اللسانيات العرفانية، حيث تُفهم بوصفها آلية ذهنية تسهم في بناء المعنى، لا مجرد أداة بلاغية للتزيين. وتقوم هذه الاستعارة على نقل البنية المفهومية من مجال إدراكي محسوس إلى مجال مجرد، بما يتيح الفهم المعنوي عبر تجارب حسية مألوفة (لاكوف وجونسون، 2009، ص. 21).

وترتبط هذه الآلية بمفهوم الذهن المتجسد الذي يفترض أن الإدراك الإنساني يتأسس على الخبرة الجسدية والتفاعل مع العالم الفيزيائي. ومن ثم، فإن القيم المجردة تميل إلى أن تفهم من خلال إسقاطها على مجالات مادية، مما يسهم في تقريبها إلى الذهن وجعلها أكثر قابلية للاستيعاب (ليكوف وجونسون، 2016، ص. 45–50).

ويتحقق ذلك من خلال آلية الإسقاط التصوري التي تنقل خصائص المجال المصدر إلى المجال الهدف، فتعاد صياغة المفاهيم المجردة في صورة كيانات ملموسة (ليكوف وجونسون، 2009، ص. 25 ؛ تورنر، 2011، ص. 145–147، 152) وفي هذا السياق، تؤدي الاستعارات الأنطولوجية دوراً أساسياً، حيث يتم تحويل القيم أو الكيانات المعنوية إلى موجودات ذات حدود وخصائص، مما يمنحها طابعاً وجودياً يمكن التعامل معه إدراكياً (ليكوف وجونسون، 2009، ص. 175).

كما تسهم المخططات الذهنية مثل مخطط القوة، ومخطط الحاوية، في تنظيم التجربة الإدراكية وتوجيه فهم المعاني، حيث تُستخدم هذه البنى التصورية في بناء القيم داخل أنساق معرفية مستقرة (تورنر، 2011، ص. 147 وما بعدها). ويضاف إلى ذلك دور الفضاء الجهاتي، الذي يربط بين الاتجاهات المكانية والقيم المعنوية، بما يعزز من ترميز المعنى داخل بنية الإدراك (ليكوف وجونسون، 2009، ص. 33–35). وتتكامل هذه الآليات في إطار المزج المفهومي الذي يعمل على دمج مجالات دلالية متعددة لإنتاج معنى جديد يتجاوز مجموع أجزائه ليبني فضاءات ذهنية مركبة تسهم في إعادة تشكيل المفاهيم وتوليد دلالات جديدة (تورنر، 2011، ص. 145–147، 152).

وبناء على ذلك، يمكن القول إن الاستعارة التصورية تؤدي وظيفة مزدوجة، فهي من جهة أداة معرفية تسهم في بناء المعنى، ومن جهة أخرى أداة حجاجية تستخدم في ترسيخ القيم داخل الوعي الجمعي. ومن خلال هذا التداخل بين الإدراك والحجاج، يتحول الخطاب الشعري إلى فضاء معرفي يسهم في تشكيل الرؤية الذهنية للمتلقي ويعيد إنتاج القيم في صورة تمثيلات مستقرة داخل النسق الإدراكي.

ومما تقدم يخلص المبحث إلى أن المقاربة الحجاجية العرفانية لا تتعامل مع الخطاب الشعري الاحتفائي بوصفه زينة لفظية، بل بوصفه استراتيجية إدراكية وحجاجية متكاملة تهدف إلى صياغة الوعي الجمعي وترسيخ قيم الهوية والولاء.

وإذا كان هذا المبحث قد وضع الضوابط المنهجية والمفاهيم المركزية كالإيتوس الحجاجي، والمخططات الذهنية، والذهن المتجسد، فإن الانتقال إلى المبحث الثاني(التطبيقي) سيختبر فاعلية هذه الأدوات في تجربة شعرية معاصرة تتسم بالكثافة الاحتفائية، وهي تجربة الشاعر الدكتور عبد الله الخضير، حيث يسعى

المبحث القادم إلى الكشف عن كيفية اشتغال هذه الآليات لاستنطاق طرائق أنسنة المكان، وتجسيد الهوية في العروق، وكيفية بناء المزيج المفهومي، الذي يربط بين عراقة التاريخ وطموح الرؤية المستقبلية، محولاً الجغرافيا والتاريخ إلى براهين حجاجية حية تسكن وعي المتلقي.

المبحث الثاني

آليات بناء القيمة الوطنية، من التمثل إلى الإقناع

يمثل هذا المبحث الجانب التطبيقي من البحث، حيث يسعى إلى تفعيل المرتكزات النظرية التي تعرض لها المبحث الأول، وذلك عبر تحليل الخطاب الشعري الاحتفائي لدى الشاعر الدكتور عبد الله الخضير. وبناء على ما جرى في المبحث الأول حول تقاطع اللسانيات العرفانية مع تداولية الحجاج، يمكن القول إن هذا المبحث يتجه نحو مقاربة الخطاب الشعري الاحتفائي لدى الخضير بوصفه فضاء حيوياً لتشكيل القيم الوطنية.

إن اختيار الباحث لعنوان المبحث ينبع من رؤية منهجية مفادها أن القيمة الوطنية في النص الشعري لا تُقدّم كحقائق مجردة، بل تُبنى أولاً عبر تمثلات ذهنية ومخططات إدراكية، كالحاوية، والجسد، والمكان، لتعيد صياغة مفهوم الوطن في ذهن المتلقي. ومن هنا يبدو أن آليات الإقناع في الخطاب لا تنفصل عن آليات الإدراك، فالحجة لا تكتسب قوتها التأثيرية إلا بقدر نجاحها في التحول من بنية لسانية جمالية إلى تمثل عرفاني مستقر في الوعي، وهو ما يحول اللغة الشعرية من مجرد تصوير فني إلى فعل إقناعي يرسخ قيم الولاء والانتماء. وعليه يسعى التحليل إلى تفكيك هذه الآليات عبر ثلاثة مطالب، يتتبع فيها رحلة القيمة من استنطاق المكان وتجسيد الذات، وصولاً إلى بناء الهوية عبر المزج المفهومي. فالنصوص الشعرية المختارة تعد مادة مركزية للتحليل، إذ يتم إعادة استنطاقها للكشف عن آليات اشتغالها الحجاجي والإدراكي، ورصد الكيفية التي تتحول بها البنية الشعرية من رصف جمالي إلى فعل إقناعي يسهم في ترسيخ القيم الوطنية داخل وعي المتلقي.

يعتمد الخطاب الاحتفائي عند الخضير على بناء صورة معيارية للقيادة بوصفها تجسيداً للقيم العليا، كما يظهر في قوله: (الخضير، 2026).

أَئِمَّتُنَا عَدْلٌ أَقَامُوا شَرِيعَةً * وَأَجْمَلُ نَهْجٍ لِلْهُدَى الرَّأْيُ وَالْفِكْرُ

وقوله: (الخضير، 2015).

نَحْنُ الْوَلَاءُ وَعَبْدُ اللهِ قَائِدُنَا * نِعْمَ الْمَلِيكُ وَنِعْمَ الْفَارِسُ الْبَطَلُ

في هذه الأبيات، يلحظ الباحث أن الشاعر يوظف الحجاج بالقدوة، لبناء مرجعية قيمية تتجسد فيها معاني العدل والولاء، مما يعزز الإيتوس الحجاجي على نحو يلفت الانتباه، ويمنح الخطاب قوة إقناعية نافذة، مبنية على صورة موثوقة للأئمة، تجعل المتلقي يثق بهم ويقتنع بمكانتهم، يصفهم بأنهم:

عدل = صفة أخلاقية (نزاهة)

أقاموا الشريعة = صفة دينية (التزام وصلاح)

يربطهم بالهدى والرأي والفكر =صفة عقلية (حكمة ورشد)

المُلك =سلطة وشرعية

الفروسية =شجاعة

البطولة =قوة وإنجاز

وهكذا النص الشعري عند الخضير، يمتاز بالشمولية والثراء، إذ تتقاطع فيها الرموز الوطنية والمكانية والتاريخية مع أفعال الكلام الالتزامية والاستعارات التصورية، لتخلق فضاء شعرياً يتيح دراسة التحولات الإدراكية للقيم الوطنية بشكل معمق. وانطلاقاً من هذه الخلفية التحليلية، يمكن أن نفصل محتوى المبحث في المطالب التالية.

المطلب الأول: المكان وبناء القيمة الوطنية

تتجلى أولى التمثلات العرفانية في اتخاذ المكان منطلقاً لبناء الشرعية الوطنية، حيث يتحول الحيز الجغرافي من مادة صماء إلى ذهن متجسد يشهد على تجذر الهوية، فينطلق الشاعر لبناء القيمة الوطنية من مرتكز المكان، بيد أنه لا يتعامل مع الجغرافيا بوصفها حيزاً فيزيائياً صامتاً، بل يستحضرها كذات فاعلة وشاهدة، حيث يخدم التحول من المكان إلى الذات استراتيجية الحجاج عبر منح القيم الوطنية صبغة الثبات الكوني. ويتجلى ذلك في الآتي:

أولاً: جبل طويق ورسوخ الهوية

تظهر أولى هذه الملامح في استدعاء رمزية (جبل طويق) لتحويله من مجرد تضاريس إلى مخطط قوة إدراكي، إذ إن استدعاء الشاعر لهذه الرمزية لا يقف عند حدود التشبيه البلاغي لبيان القوة، بل يتسق مع رؤية (ليكوف وجونسون) في أننا ندرك القيمة المجردة (الهوية) عبر إسقاطها على مجالات فيزيائية صلبة، مما يجعل الانتماء حقيقة إدراكية ملموسة. ويتضح ذلك بجلاء في قول الخضير: (الخضير، 2026).

لِأَنِّي سعُودِيٌّ طُوَيْقُ هُوِيَّتِي * وَلِي هِمَّةُ الْأَبْطَالِ يُلْهِمُنِي الصَّخْرُ

فوفق مفهوم الإسقاط التصوري، وفي ضوء التحليل العرفاني، يعتمد الشاعر هنا على آلية الإسقاط بين المجال المصدر (جبل طويق/الصخر) والمجال الهدف (الهوية/الهمة) مما يحول القيمة الوطنية من مجرد شعور مجرد إلى حقيقة إدراكية تتسم بالرسوخ. فحين يستدعي الشاعر جبل طويق، فهو لا يستخدمه مجرد صورة بلاغية، بل يحوله إلى مخطط إدراكي للقوة والهوية:

جبل طويق: ليس تضاريس فقط.

بل: رمز للثبات، الصلابة، الامتداد، العلو.

وبالتالي: يصبح نموذجاً إدراكياً لفهم الهوية.

والصخر: يعزز فكرة الصلابة والإلهام، فيتحول الجبل إلى مصدر قوة نفسية ومعيار قيمي.

ويكتمل ذلك في قول الشاعر: (الخضير، 2026).

قَالَ الطُّوَيْقُ هُنَاكَ رَمْزٌ شَامِخٌ * نسعى إلى قممِ الطّويقِ وصولا

إذ نلحظ هنا بوضوح أنه ينتقل من وصف الطبيعة إلى الحجاج بالشهادة، ولكن بمنظور تحليلي جامع، يتجاوز كونه مجرد استحضار لسلطة الرمز التاريخي، فالجبل في نص الخضير لا يشهد بوصفه حجة خارجية صماء، بل بوصفه ذاتاً مدركة

وبنية عرفانية حية تسكن وعي المتلقي. وهنا تتجلى آلية الاستعارة الأنطولوجية، إذ يُمنح الجبل صفات الكائن العاقل، فيتحول من موضوع مادي إلى ذات فاعلة داخل البنية الحجاجية. ويمكن قراءة هذا التوظيف بوصفه حجة قائمة على بنية الواقع – وفق رؤية (بيرلمان) – حيث يدمج الشاعر بين الوجود المادي الصلب للجبل وبين الدلالة الرمزية للشموخ، محولاً الجغرافيا من حيز مكاني صامت إلى فاعل حجاجي يمنح القيم الوطنية مشروعية أنطولوجية (ليكوف وجونسون، 2009، ص. 175).

ويعزز هذا التوجه الحجاجي القائم على ربط القيم ببنية الواقع المادي، توظيف الشاعر للفضاء المكاني بوصفه حاملاً للفخر والهوية في قوله: (الخضير، 2015).

فِي كُلِّ شِبْرٍ لَنَا فَخْرٌ نُعَانِقُهُ * اللَّهُ أَكْبَرُ فِي السَّاحَاتِ تمْتَثِلُ

حيث تتحول القيمة المجردة (الفخر) إلى حيز مكاني محسوس، وتغدو الشعارات ذات تمظهر واقعي داخل الساحات، مما ينسجم مع الحجاج القائم على بنية الواقع، ويجعل القيم الوطنية مدركة بوصفها جزءاً من التجربة الحسية. واللافت **هنا أن** هذه الاستراتيجية الإقناعية تمتد إلى استنطاق الرموز المادية وتحويلها

إلى براهين حية لا تقبل الشك، فالجبل ينخلع من إطاره التضاريسي ليرتدي لبوساً وجودياً كذات ناطقة تشهد بوجودها على عظمة الوطن وتاريخه، محولة الجغرافيا الصماء إلى تجربة وعي معاشة. وهذا يتطابق – حسب رؤية الباحث – مع ما يسميه (جورج ليكوف ومارك جونسون) بالاستعارة الأنطولوجية، المتمثلة في آلية التجسيد، حيث يتم فهم الظواهر غير البشرية عبر خصائص إنسانية كالإرادة والنطق (ليكوف وجونسون، 2009، ص. 175) وبناء عليه فإن شهادة جبل طويق تؤدي وظيفة مزدوجة، فهي من جهة شاهد يمنح المصداقية للنص، ومن جهة أخرى بنية إدراكية تجعل من مفهوم الوطن والوصول للقمم حقيقة ملموسة ندركها بحواسنا قبل عقولنا عبر مخططات تصورية ترتبط بالنجاح والقوة والسمو، وبذلك يلتقي الحجاج بالشهادة مع التجسيد الوجودي ليصنعا معاً رؤية يكون فيها الجبل ضامناً وجودياً لصحة القضية المطروحة، مما يحقق أقصى درجات الإقناع والتسليم بالقيمة الوطنية (ليكوف وجونسون، 2009، ص. 45).

مخطط التقابل الإدراكي لجبل طويق

المجال المصدر (المادي)	الأسهم (الإسقاط)	المجال الهدف (المجرد)
جبل طويق (الصلابة)	←	الهوية الوطنية (الرسوخ)
الصخر (الثبات)	←	الهمة (العزيمة)
القمة (الارتفاع)	←	الطموح/الرؤية (السيادة)

يكشف المخطط – في تقدير الباحث – عن اشتغال آلية الإسقاط التصوري في النص الشعري، حيث يقوم الشاعر بنقل الخصائص الفيزيائية من المجال المصدر (البيئة الجبلية الصلبة) إلى المجال الهدف (القيم الوطنية المعنوية). وهذا التناظر ليس مجرد حلية بيانية، بل هو مخطط قوة يهدف إلى تحويل الوطنية من شعور عاطفي متغير إلى حقيقة إدراكية تتسم بصلابة الجغرافيا وثبات التاريخ، مما يمنح الخطاب قوة حجاجية تستند إلى بنية الواقع.

ثانياً: التاريخ ودوره في ترسيخ الهوية

لا يتوقف التوظيف الإدراكي للمكان عند حدود الجغرافيا الطبيعية، بل يمتد ليشمل التاريخ المتجذر في أعماق المكان، وهو ما يبرزه الخضير بوصف المكان وثيقة أنطولوجية تشهد على تجذر الهوية. ففي قصيدته (الأحساء تراث العاشقين) تتحول الأرض من مجرد حيز جغرافي إلى وعاء لحفظ الزمن والإرث الحضاري حين يقول: (الخضير، 2022، ص. 17)

كَمْ أَنْبَتَ الْأَجْدَادُ فَوْقَ تُرَابِهَا * إِرْثاً لِيَبْقَى لِلرُّوَاةِ سَبِيلا

فالأرض هنا – كما يرى الباحث – لا تنبت زرعاً فحسب، بل تُنبت إرثاً، مما يجعل من الأحساء أثراً وشاهداً تاريخياً يمنح الحجة الوطنية بُعداً تراكمياً. ويتعمق هذا التحليل في قصيدته (يا أيها الوطن الممتد في جسدي) حيث يتماهى المكان والتاريخ مع الكيان العضوي للشاعر في قوله: (الخضير، 2023)

أَنَا ابْنُ أَرْضِي وَتَارِيخِي أُسطِّرُهُ * عَلَى الْكَرَامَةِ مِنْ رُوحِي لِشِرْيَانِي

فإن عملية تسطير التاريخ هنا ليست تدويناً ورقياً، بل هي تجسيد إدراكي يجعل من الهوية السعودية نتاجاً لعمق حضاري موغل في القدم، يسري مسرى الدم في الشرايين. وبذلك تصبح الأحساء كياناً حياً يحمل ذاكرة وشهادة، تؤكد أن الهوية ليست وليدة اللحظة، بل هي امتداد لقول الشاعر: (الخضير، 2022، ص. 17).

عُمْرٌ إذا افتخرَ الزّمانُ بذكرِهِ * جعل الحياةَ صبابةً وعُقُولا

ثالثاً: الزي الوطني وتجسيد الانتماء

وإذا كان المكان يمثل الوعاء الأنطولوجي للهوية، فإن الزي الوطني يمثل التجسيد البصري لها، حيث تظهر سيميائية الزي الوطني وتحويل المنجز المادي، أو الرمز التقليدي، إلى جزء من النسق المعرفي والقيمي الذي يشكل هوية المجتمع. كمرتكز ثان، إذ يربط الخضير بين الهوية البصرية (الزي) وبين الحالة الوجدانية والوطنية، محولاً الرمز التقليدي إلى حجة دامغة على الانتماء، كما في قوله: (الخضير، 2026).

شمَاخِي سعُودِيٌّ عقَالِي سعُودِيٌّ * وَبِشْتِي سعُودِيٌّ فحق لِي الْفَخْرُ

وهنا تبدو آلية التراكم الحجاجي، فتكرار صفة (سعودي) ثلاث مرات مع مفردات الزي المادية ليس حشواً لسانياً، بل هو إلحاح لترسيخ الهوية في الوعي الجمعي. ويمارس الشاعر عملية المزج المفهومي – وفق فوكونياي وتيرنر – بدمج الأصالة (الزي) والفخر كقيمة معنوية، خاصة حين يربط هذا الانتماء بمنجزات الشباب السعودي مما يجعل التفوق الحضاري نتاجاً طبيعياً لهذه الهوية الراسخة.

رابعاً: الطبيعة بوصفها حاضنة للولاء

يتمثل ذلك في جعل الأحساء وطبيعتها وعاء للولاء وفق مخطط الحاويه، وهو بنية ذهنية أولية تقوم على إدراك الأجسام والمساحات بوصفها أوعية لها ثلاث مكونات بنائية ثابتة هي: الداخل، والخارج، والحد الفاصل بينهما (ليكوف وجونسون، 2016، ص. 73؛ الزناد، 2010، ص. 168؛ مصمودي، 2017، ص. 144). وتتجلى أنسنة المكان في قصيدة الخضير التي مطلعها: (الخضير، 2017، ص. 47)

مَـنْ للقـوافي إذا غـنّى لــها الوتــرُ * هل في سوى الشوقِ يحلو الليلُ والسمرُ؟

لتشمل بعد ذلك عناصر الطبيعة في قوله: (الخضير، 2017، ص. 47).

سلمانُ أقْبلَ للأحساء يافرحي * حيّاكَ نخْـلُ الحسا والظلُّ والثمَـرُ

أحساءُ ياسيّدي تشتاقُ والهة * فقـد أطـلَّ على أبـوابـِها القمـرُ

كلّ القلوبِ زهتْ، تختالُ باسمةً *ويبسـمُ التمـرُ والميـناءُ والبشـرُ

حيث يظهر ترتيب الحجج عبر سلم حجاجي تراكمي يبدأ من النخل، وصولاً إلى البشر، مما يضفي قوة إقناعية بأن الاحتفاء ليس بروتوكولاً عادياً، بل هو فيض من الطبيعة نفسها. وهنا تظهر الأحساء وفق مخطط الحاوية حاوية وجدانية تضم الماديات والمعنويات، فتصبح القيمة الوطنية المستخلصة هي الشرعية الطبيعية، حيث يتجذر الولاء في طينة الأرض وأغصانها، مما يعزز فكرة التلاحم العضوي بين القائد والمكان والمواطن. ويظهر ذلك في الترتيب الحجاجي التالي:

هـ . البشر (الإنسان) = قمة السلم الحجاجي (الإقناع التام بالولاء الطبيعي)

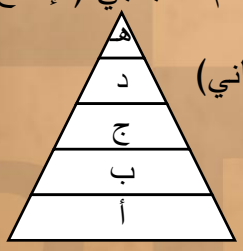

د. الميناء (المنجز الاقتصادي/المكاني)

ج. التمر (الثمر/العطاء المادي)

ب. الظل (الأثر/الاحتواء الطبيعي)

أ. النخل (الأصل/الجذور) = قاعدة السلم الحجاجي (الانطلاق من الطبيعة)

ولا يقف هذا التوظيف عند حدود أنسنة العناصر المحلية للطبيعة، بل يمتد ليشمل الطبيعة الكونية بوصفها حاملاً للقيم الإنسانية العابرة للحدود، حيث تتسع دائرة الحجاج من الفضاء الوطني إلى الفضاء الإنساني. ويتجلى ذلك في توظيف الشاعر لاستعارة الغيث بوصفها نموذجاً إدراكياً للإحسان العالمي، كما في قوله: (الخضير، 2022، ص. 99).

إِنَّ الْوَلِيدَ غَمَامٌ هَاطِلٌ غَدِقٌ * يسْقِي الْفَقِيرَ وَيَرْوِي الظَّامِئَ التَّعِبَا

وَيَمْسَحُ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ بَكَتْ أَلَمًا * يَحْنُو عَلَى مَنْ شَكَا أَوْ خَافَ وَاضْطَرَبَا

إذ يقوم التصوير هنا على استعارة تصورية، مفادها: الإحسان = الغيث، حيث يمثل الغمام مجالاً مصدرياً يتسم بالشمول والإحياء، بينما يمثل العطاء الإنساني المجال الهدف. وبذلك لا تظهر الطبيعة مجرد خلفية

جمالية، بل تتحول إلى بنية حجاجية تمنح الفعل الإنساني بعداً كونياً، إذ إن الغيث لا تحده الجغرافيا، مما يجعل القيمة الوطنية ممتدة في بعدها الإنساني، ومؤسسة على منطق العطاء الشامل. وهنا تتجلى آلية الاستعارة الأنطولوجية، حيث يُعاد بناء القيمة المجردة (الإحسان) بوصفها كياناً طبيعياً فاعلاً يمتلك خصائص الإحياء والامتداد.

وبهذا، يخلص هذا المطلب إلى أن الشاعر لم يقدم المكان بوصفه خلفية للأحداث، بل أعاد صياغته أنطولوجياً ليصبح شريكاً في بناء القيمة الوطنية. فمن صلابة طويق التي منحت الهوية رسوخاً، إلى رحابة (الأحساء)التي احتوت الولاء كحاوية وجدانية، فقد استطاع الخضير – حسب رأي الباحث – أن يحول الجغرافيا إلى برهان حجاجي وبنية عرفانية حية تسكن وعي المتلقي وتوجه إدراكه نحو الانتماء المطلق. وبذلك نستطيع القول إن أنسنة المكان في خطاب الخضير لا تؤدي وظيفة جمالية فحسب، بل تنهض بوظيفة حجاجية عرفانية متكاملة، إذ تسهم في نقل القيم الوطنية من مستوى التصور المجرد إلى مستوى الإدراك الحسي الملموس، الأمر الذي يعزز فاعلية الإقناع لدى المتلقي، ويدفعه إلى تلقي هذه القيم بوصفها حقائق طبيعية راسخة تستند إلى بنية الواقع وامتداداته التاريخية والكونية.

المطلب الثاني: تجسد القيمة الوطنية في الجسد

هنا ينتقل الشاعر من رؤية الوطن بوصفه كياناً خارجاً متمثلاً في التضاريس والمدن، إلى رؤيته بوصفه كياناً داخلاً يسكن النبض والحواس، حيث يعكس ذلك مفهوم الذهن المتجسد – حسب رؤية (ليكوف وجونسون) – إذ تُدرك القيم الوطنية كحقائق فيزيائية تسكن الجسد، مما يجعل الانتماء تجربة وجودية لا تنفصل عن الكيان البشري. ويمكن تفصيل ذلك في الآتي:

أولاً: اندماج الوطن بالجسد

تتجلى أولى ملامح هذا التمثيل من خلال توظيف الشاعر آلية الذهن المتجسد – وفق رؤية (مارك جونسون) – التي تؤكد أن تجاربنا المعنوية تُبنى وتُفهم من خلال تجاربنا الجسدية المادية. فالشاعر لا يكتفي بوصف حبه للوطن، بل ينقله من حيز الفكرة المجردة إلى حيز العضو الوظيفي المتمثل في النبض، ليصبح الوطن شرطاً لاستمرار الحياة العضوية للمتلقي، كما يظهر في قوله: (الخضير، 2023).

يَاأَيُّهَا الوَطَنُ المُمْتَدُّ فِي جَسَدِي * نَثَرْتُ فَوْقَ الثَّرَى مِنْ وَرْدِ أَغْصَانِي

فيبدو أنّ هذا التعبير يكشف عن تجسيد الوطن بوصفه كياناً عضوياً مندمجاً في البنية الحيوية للإنسان، حيث يتحول من مفهوم مجرد إلى عنصر فاعل داخل الجسد. وهنا تتجلى آلية الاستعارة الأنطولوجية، إذ

يُمنح الوطن خصائص الكيان الحي داخل البنية الإدراكية للمتلقي. وتتجلى ملامح هذا التمثيل في استراتيجية الحيز الوجداني، حيث يسقط الشاعر مفهوم الهوية على العمليات الحيوية عبر عدة مستويات من الحاويات الجسدية. ففي البيت السابق، يقلب الشاعر علاقة الاحتواء فيما يمكن تسميته بمخطط الحاوية المقلوب، ويقصد هذا السياق تلك الآلية العرفانية التي يتجاوز بها الشاعر المنطق المكاني، محولاً الجسد البيولوجي من كونه جزءاً محتوى في إطار الوطن إلى وعاءٍ حاو له، مما يؤدي إلى تذويب الانفصال بين الذات والمكان، وتحويل الانتماء من صفة خارجية إلى ضرورة عضوية (الزناد، 2010، ص. 115–118؛ ليكوف وجونسون، 2009، ص. 67–69) حيث يجعل الجسد الإنساني هو الحاوية التي يمتد داخلها الوطن بوصفه محتوى. ثم ينتقل إلى حاوية العروق حيث يتحول الجسد العضوي (العروق والشرايين) إلى وعاء يحوي القيم الوطنية السيادية كالمجد والعز، ويتمثل ذلك في قوله: (الخضير، 2015).

فِي كُلِّ شِبْرٍ لَنَا مَجْدٌ نُفَاخِرُهُ * وَفِي الْعُرُوقِ دِمَاءُ الْعِزِّ تَنْهَمِلُ

وهنا تتجلى عملية القلب الإدراكي، فبدلاً من أن يضم الوطن المواطن، تصبح العروق هي الأوعية السيادية التي تحتضن الوطن، محولة الرمز الوطني إلى حركة حيوية تضمن استمرار الحياة. ويمكن تفسير ذلك بأن انهمال دماء العز داخل العروق يعكس تحول الوطن إلى طاقة محركة، مما يجعل الحفاظ على العز مرادفاً للحفاظ على الحياة ذاتها.

ويظهر القلب في قصائد الخضير كأكثر الأوعية استيعاباً للقيم الوطنية، محولاً الولاء والبشر من مفاهيم مجردة إلى محتوى مادي، وهو ما نلمسه في قوله: (الخضير، 2013، ص. 9).

مَرْحَى أَبَا مُتَعِبٍ إِنَّا نَمُدُّ يَدًا * نَحْوَ الْوَلَاءِ بِقَلْبٍ صَادِقٍ رَغبًا

فهنا يتجسد الولاء من كونه مفهوماً مجرداً إلى كونه مقصداً حركياً يتجه نحوه (نمد يداً) لكنه لا ينال إلا عبر وسيط داخلي هو القلب. وهنا تتشكل استعارة تصورية قوامها: القلب وعاء للولاء، حيث يحتوي الولاء داخله ويقاس بصدق هذا الوعاء. فالقيمة الوطنية لا تختبر خارجياً، بل من خلال امتلاء القلب بها، مما يعزز من البعد الوجداني ويمنح الولاء صفة الأصالة والعمق. ونلحظ انتقالاً آخر داخل البنية نفسها في قوله: (الخضير، 2026).

فَمَا الْيَوْمَ إِلَّا مَنْ رَأَى الْفَخْرَ عَالِيًا * وَأَبْدَى ابْتِهَاجًا وَالْقُلُوبُ لَهُ بِشْرُ

حيث تتحول القلوب إلى أوعية تستجيب للفخر استجابة حية، حيث يجسد الفخر كقيمة عليا تدرك بصرياً (رأى الفخر عالياً) ثم تنعكس آثارها داخل القلوب في صورة بشر وابتهاج. وهنا تتجلى استعارة القلب وعاء

للمشاعر الوطنية، بحيث يصبح الفخر محتوى يُملأ به هذا الوعاء، فتظهر علاماته على هيئة الفرح الجماعي.

ولا يتوقف الأمر عند القلب، بل يمتد إلى حاوية الوجدان التي تصبح الحوافظ الأنطولوجية للرموز الوطنية كالرايات والرموز الوطنية، وصولاً إلى حاوية الصدر التي يملؤها الفرح الوطني. وبذلك يتجاوز الشاعر تمثيل القيم الوطنية في القلب إلى مستوى أعمق، حيث تنفتح البنية الإدراكية على حاوية الوجدان بوصفها الحافظ الأنطولوجي للرموز الوطنية، ثم تتجسد هذه القيم في الصدر بوصفه الفضاء الذي تظهر فيه آثار الامتلاء الوجداني. فالوطن هنا لا يستوعب فقط بوصفه ولاءً قلبياً، بل بوصفه تجربة وجودية شاملة تستقر في عمق الكيان الإنساني في قوله: (الخضير، 2026).

وَقَدْ ضَمَّ أَرْجَاءَ الْبِلَادِ بِحِكْمَة * فَدَارَتْ بِنا الْأَفْرَاحُ وَانْشَرَحَ الصَّدْرُ

وهنا تظهر بنية الحاوية بوضوح عبر فعل (ضمَّ) الذي يحيل إلى الاحتواء، حيث يصور الوطن ككيان جامع يحتوي أرجاءه بحكمة، وهو ما يعكس صورة كلية للاتساق والوحدة. ويتجلى التحول الإدراكي في الشطر الثاني، إذ تنتقل هذه الوحدة من المجال الخارجي إلى الداخل الإنساني، فتتحول الأفراح إلى حركة متدفقة، بما يوحي بالإحاطة والشمول، ثم تستقر في الصدر الذي ينشرح، في دلالة على امتلائه بهذا الفيض الوجداني. وبذلك تتشكل استعارة تصورية قوامها: الصدر حاوية للفرح الوطني، حيث يُجسَّد الفرح بوصفه مادة تُملأ بها هذه الحاوية حتى تبلغ حد الانشراح. والانشراح ذاته يمثل الأثر الجسدي الوجداني لهذا الامتلاء، مما يعزز تداخل الجسدي بالمعنوي في بنية التجسيد.

وبذلك، يستكمل الشاعر تدرجه الدلالي من العروق بوصفها مجرى للحياة والسيادة، إلى القلب بوصفه مستودع الولاء، ثم إلى الوجدان كحافظ للرموز، وصولاً إلى الصدر كفضاء تتجلى فيه آثار هذا الامتلاء في صورة الفرح والانشراح. وهذا التدرج لا يعمل على مستوى الصورة البلاغية فحسب، بل يؤسس لتصور إدراكي متكامل يجعل الوطن محتوى داخلياً متغلغلاً في البنية الوجودية للإنسان، بحيث يغدو الحفاظ على القيم الوطنية معادلاً للحفاظ على تماسك الذات وتوازنها الوجداني.

ثانياً: حضور التاريخ في الذات

أما المرتكز الثاني فيظهر في ارتباط التاريخ بالجسد من خلال ما يمكن تسميته بأنطولوجيا الشرايين وأرشفة التاريخ في الذات، إذ يؤكد الشاعر أن التاريخ الوطني ليس سطوراً في كتب، بل هو جزء من التكوين

العضوي للذات الشاعرة، ممارساً عملية تجسيد للزمن، ومحولاً إياه إلى سائل حيوي يجري في الأوردة، وذلك في قوله: (الخضير، 2023).

أَنَا ابْنُ أَرْضِي وَتارِيخِي أُسَطِّرُهُ * عَلَى الْكَرَامَةِ مِنْ روحِي لِشِرْيَانِي

حيث يبدأ الشاعر بتأكيد انتمائه (أنا ابن أرضي) وهو تصريح انتمائي يؤسس لعلاقة عضوية بين الذات والوطن، لا تقوم على مجرد الانتساب المكاني، بل على الاندماج الوجودي. ثم ينتقل إلى قوله (وتاريخي أسطره) فيجعل من التاريخ فعلاً ذاتياً حياً، لا معطى جاهزاً، وكأن الذات هي التي تكتب تاريخها باستمرار. غير أن التحول الإدراكي الأعمق يتجلى في الشطر الثاني، حيث يعيد تشكيل هذا التاريخ داخل الجسد، عبر استعارة قوامها: التاريخ سائل يجري في الشريان، فقوله(شرياني) يحول التاريخ من نص مكتوب إلى مادة حيوية نابضة، تسري في الجسد كما يسري الدم. وهنا يتحقق ما يمكن تسميته بـ (أنطولوجيا الشرايين) إذ يغدو الشريان موضع حفظ التاريخ وتداوله. أما قوله (على الكرامة من روحي) فتضيف بعداً قيمياً، حيث تُجعل الكرامة سطحاً تُنقش عليه كتابة التاريخ، بينما تمثل الروح مصدر هذا النقش. وبذلك تتكامل المستويات الثلاثة:

- **الروح:** مصدر القيم (الكرامة)
- **الشريان:** مجرى الحياة وحافظ التاريخ
- **التاريخ:** محتوى حي متجسد داخل الجسد

وعليه، لا يعود التاريخ في هذا البيت مجرد ماض محفوظ، بل يتحول إلى **بنية حية تسكن الذات وتُشكّل كينونتها**، بحيث يصبح الحفاظ على التاريخ مرادفاً للحفاظ على الحياة ذاتها، في اندماج كامل بين الزمني والوجودي.

ثالثاً: الحواس ودلالة الحماية والانتماء

يبرز دور الحواس في ترسيخ الشعور بالحماية والانتماء من خلال المزج بين الحاسة البصرية والمنهج الوطني في قول الشاعر: (الخضير، 2015).

هذي بلادي وهذا الدينُ منهجنا * أنا السعوديُّ بالإسلام أكتحلُ

وهنا يتجاوز الاكتحال التجميل إلى تقوية البصر، مما يخلق اتحاداً بين الهوية الوطنية والدينية، بانتقال فعل الاكتحال من معناه المباشر (التزيّن) إلى معنى أعمق يتصل بتقوية الرؤية وتحصينها، فالكحل في

الثقافة العربية ليس زينة فحسب، بل يحيل أيضاً إلى صفاء البصر وحدّته. ومن هنا يصبح الإسلام، في التصوير الشعري، بمثابة كحل معنوي يمنح الذات قدرة على الإبصار الصحيح، أي رؤية العالم وفق منظومة قيمية واضحة. وهذا التحويل الدلالي يخلق علاقة عضوية بين:

الحاسة البصرية بوصفها أداة إدراك، والمنهج الديني بوصفه إطاراً مرجعياً موجهاً. وبذلك تتجاوز الحواس وظيفتها الحسية المباشرة لتغدو وسيلة للحماية الرمزية، فالرؤية المؤطرة بالإسلام تحمي الذات من الضلال، وتمنحها شعوراً بالثبات واليقين. ومن ثم يتأسس الإحساس بالانتماء على هذا الإدراك الموجّه، حيث تتكامل الهوية الوطنية (أنا السعودي) مع الهوية الدينية (بالإسلام أكتحل) في صورة واحدة منسجمة. كما أنّ اسم الإشارة (هذي بلادي) يعزز البعد الحسي القريب، وكأن الوطن يُرى ويُلمس، لا يتخيل فقط، مما يضاعف أثر الحواس في تثبيت الانتماء. وهكذا يتشكل نسق دلالي تتداخل فيه: الرؤية الحسية (الاكتحال) والرؤية القيمية (الإسلام) والانتماء المكاني (بلادي) لينتج عن ذلك تصور يجعل الحواس بوابة للتجذر في الهوية، وأداة لحمايتها وتأكيدها في آن واحد.

ويبرز إيتوس الحماية حيث يصور الشاعر الانتماء بوصفه علاجاً للجسد المنهك، حتى يغدو الوطن حرزاً من الوصب، في قوله: (الخضير، 2022، ص. 100).

قد أشرقتْ شمسكم في كل ناحيةٍ ** حتى أضأتمُ قلوبًا عانتِ الوصبا

حيث يُبنى البيت على صورة حجاجية تحول الانتماء إلى قوة علاجية قادرة على إنقاذ الذات من الوهن، ففي قوله (قد أشرقت شمسكم في كل ناحية) يستعير الشاعر صورة الشمس بوصفها مصدراً للنور والحياة، ليجعلها رمزاً للوطن أو لمن يمثله، بما يمنحه دلالة الدفء والطمأنينة. ولا يقتصر هذا الإشراق على بعده المكاني، بل يتجاوز ذلك إلى إشراق معنوي شامل، يوحي بامتداد الحماية واتساع أثرها. ثم تتعمق الدلالة في قوله (حتى أضأتم قلوباً عانت الوصبا) حيث يستثمر لفظ (الوصب) بما يحمله من معنى المرض والتعب المزمن، لتصوير حالة المعاناة التي كانت تعيشها الذات. وهنا يتحقق التحول الدلالي، إذ لا يظل النور مجرد إضاءة حسية، بل يتحول إلى قوة شفائية تلامس القلوب، بوصفها مركز الشعور والوعي فتزيل عنها آثار الألم. وعلى هذا الأساس، تتشكل بنية تصويرية مركبة قوامها: الانتماء = نور مشرق، الذات المنهكة = قلب مثقل بالوصب، الفعل الوطني = علاج واستعادة للتوازن. ومن خلال هذا التركيب، يرسخ الشاعر إيتوس الحماية عبر تقديم الوطن بوصفه ملاذاً علاجياً لا يقتصر دوره على درء الأخطار الخارجية، بل يمتد إلى ترميم الداخل الإنساني. فالولاء هنا ليس موقفاً مجرداً، بل تجربة وجودية فاعلة، تتحول فيها القيم الوطنية إلى طاقة تستعيد بها الذات عافيتها وتبدد ظلمتها النفسية.

ولا يقف أثر هذا الإشراق عند حدود الحماية الفردية، بل يتجاوزها إلى أفق إنساني أوسع عبر آلية الانتشار، إذ تتحول القيمة الوطنية إلى طاقة إشعاعية تتخطى حدود الذات. فالشمس في هذا السياق لا تمثل عنصراً طبيعياً فحسب، بل بنية تصورية تربط بين الضوء والهداية والشفاء، مما يجعل التأثير ممتداً إلى القلوب بوصفها حوامل إدراكية للمشاعر. وبذلك ينتقل الخطاب من مستوى التأثير الداخلي إلى مستوى التأثير الإنساني الكوني، حيث يغدو الوطن مصدراً لطاقة معنوية قادرة على إعادة التوازن للذات الإنسانية، بما يعزز إيتوس الحماية في بعده الشامل.

ويتجلى البعد التداولي للأفعال الكلامية الالتزامية من خلال صيغ تعهدية تتجاوز الإخبار إلى الفعل، كما في قوله: (الخضير، 2015).

إِنّا نَمُدُّ كُفُوفَ الْحُبِّ حَانِيَة * إِنّا لِحُكّامِنَا نَهْفُو وَنَمْتَثِلُ

حيث توظف الأفعال الكلامية الالتزامية بوصفها أداة حجاجية تُحوّل الخطاب من مستوى الإخبار إلى مستوى الفعل والإنجاز. فقوله (إنّا نمد كفوف الحب حانية) لا يكتفي الشاعر بوصف مشاعر الود، بل يصوغها في هيئة فعل جماعي منجز، فالفعل المضارع (نمد) يحمل دلالة الاستمرار والتجدد، بينما توحي (كفوف الحب) بحركة ملموسة تجسد الانفتاح والمبادرة، بما يجعل المحبة سلوكاً معاشاً لا إحساساً مجرداً. ويتعزز هذا البعد الالتزامي في قوله (إنّا لحكامنا نهفو ونمتثل)حيث تنتقل الدلالة من العاطفة (نهفو) إلى **الامتثال** بوصفه فعلاً إرادياً يعكس الطاعة والانقياد الواعي. وهنا يتجاور مستويان: مستوى وجداني، يتمثل في الشوق والميل(نهفو) ومستوى سلوكي عملي، يتمثل في التنفيذ والالتزام (نمتثل).

ومن خلال تكرار صيغة (إنّا) يتأسس صوت جمعي يضفي على الخطاب طابعاً تعاهدياً، كأن الشاعر لا يتحدث عن جماعة فحسب، بل يتكلم باسمها ويلزمها ضمنياً بهذا الموقف. وهكذا تتحول الأفعال إلى ما يشبه ميثاقاً جماعياً يرسخ الولاء باعتباره ممارسة عملية متجددة، لا مجرد إعلان عاطفي عابر. وبذلك يتجلى البعد التداولي في أن هذه الأفعال لا تصف الواقع فقط، بل تنشئه وتكرسه؛ فهي أفعال إنجازية تسهم في بناء علاقة الولاء وإدامتها، مما يمنح الخطاب الاحتفائي طابعه الفاعل والمؤثر، حيث يصبح القول نفسه فعلاً من أفعال الالتزام والانتماء.

ويعزز هذا الامتداد الوجداني للانتماء توظيف الصور العاطفية التي تجعل القيمة الوطنية حالة شعورية مستمرة، كما في قوله: (الخضير، 2015).

وَلَا أَزَالُ عَلَى حُبٍّ يُسَامِرُنِي * يُعَانِقُ الْوَرْدَ فِي أَفْيَائِهِ الأَمَلُ

حيث تُبنى صورة عاطفية تجعل الانتماء حالة وجدانية مستمرة لا تنفصل عن وعي الذات. ففي قوله (ولا أزال على حب يسامرني) يوظف الشاعر فعل (لا أزال) ليدل على الاستمرارية والديمومة، بما يخرج الحب الوطني من كونه انفعالاً عبراً إلى كونه حالة ملازمة للذات عبر الزمن. أما قوله (يسامرني) فتمنح الحب بعداً إنسانياً حياً، إذ يشخص ككائن يؤنس الشاعر ويلازمه، وكأن الانتماء يتحول إلى رفيق دائم في الوعي والوجدان. وتتعمق هذه الصورة في قوله (يعانق الورد في أفيائه الأمل) حيث تتداخل عناصر حسية ورمزية: الورد الذي يحيل إلى الجمال والنقاء، والأمل الذي يمثل الامتداد المستقبلي والإشراق، والمعانقة التي توحي بالانسجام والتلاحم .

وهكذا تسهم الصورة في ترسيخ الحب الوطني بوصفه ديمومة إدراكية ووجدانية، فهو ليس مرتبطاً بلحظة احتفال أو موقف طارئ، بل يتجدد باستمرار داخل الذات، ويعيد تشكيل علاقتها بالعالم عبر إحساس دائم بالجمال والأمل. وبهذا يتحول الانتماء إلى تجربة زمنية ممتدة، تتداخل فيها اللحظة الحاضرة مع أفق مستقبلي مشرق، مما يمنح الخطاب بعداً عاطفياً عميقاً ومستقراً.

وبناء عليه، يبدو أن الشاعر – حسب رؤية الباحث – قد نجح في توظيف الدلالات العميقة بمهارة عالية، حيث تحقق تحول لافت من الجغرافيا إلى البيولوجيا، إذ لم يعد الوطن مجرد مكان خارجي، بل أصبح كياناً عضوياً داخلياً، يرتبط بالحياة ذاتها من خلال مفردات النبض والدم والشرايين، ليصبح الانتماء إليه شرطاً حيوياً لاستمرار الوجود.

ويتجلى كذلك توظيف فاعل لما يمكن تسميته بمخطط الحاوية المقلوب، الذي يعكس براعة الشاعر في قلب التصورات الذهنية المألوفة، فبدلاً من أن يكون الإنسان جزءاً من وطن يحتويه، أصبح الوطن ذاته محتوى مستقراً داخل جسد الإنسان، بما يمنحه مركزية وجودية عميقة.

ومن جهة أخرى، يبرز تجسيد المعنويات في إطار ما يعرف بالذهن المتجسد، حيث تم ربط مفاهيم مجردة مثل المجد، والكرامة، والعز ، بعناصر حسية مادية كالدماء، والكحل، الأمر الذي أتاح للخطاب الشعري أن يحول الوطنية إلى تجربة محسوسة قابلة للإدراك الحسي.

ثم يتكرس حضور الوطن بوصفه طاقة شفائية ضمن ما يمكن تسميته بإيتوس الحماية، إذ يستدعي الشاعر معاني الشفاء من الوصب والاكتحال بالمنهج، ليؤسس صورة للوطن بوصفه حرزاً وجودياً قادراً على طرد الوهن الجسدي وتعزيز التماسك الحيوي للإنسان

وبذلك يتبين أن التمثيل الجسدي للقيم الوطنية في خطاب الخضير لا يقتصر على كونه آلية عرفانية لتجسيد المعنى فحسب، بل يتجاوز ذلك ليؤدي وظيفة إقناعية عميقة، إذ يسهم في ترسيخ القيم داخل البنية الحيوية للمتلقي، مما يحول الانتماء من موقف ذهني قابل للمراجعة إلى تجربة وجودية معاشة، ويعزز درجة الإذعان القيمي بوصفه استجابة طبيعية نابعة من اندماج الذات مع الوطن.

المطلب الثالث: المزج المفهومي وبناء الهوية الوطنية

لا تكتفي النصوص الاحتفائية عند الخضير باستدعاء التاريخ، أو استشراف المستقبل، كجزر منعزلة، بل تعمد إلى صهرهما في بوتقة واحدة. وهنا – في تقدير الباحث – تتجلى عبقرية الخطاب لديه في قدرته على بناء فضاءات ذهنية مركبة تتجاوز التتابع الزمني الخطي، وذلك عبر آلية (المزج المفهومي) – وفق مفهوم (جيل فوكونياي ومارك تيرنر) – إذ يعمد الشاعر إلى دمج عوالم دلالية متباعدة لإنتاج معنى ثالث مكثف، يذيب الفاصل بين الجذور والمنجز المعاصر. وتتم هذه العملية العرفانية من خلال بناء أربعة فضاءات ذهنية يشتغل عليها النص:

الفضاء المدخل الأول (الماضي العريق) ويتمثل في هجر، نخل الأحساء، وعراقة عبد قيس، والوفادة النبوية، وهو فضاء محمل بقيم الأصالة والصمود.

الفضاء المدخل الثاني (المستقبل التقني) ويتمثل في رؤية 2030، ريادة الفضاء، وتجاوز العقول في العلوم، وهو فضاء محمل بقيم الحداثة والريادة.

الفضاء العام، وهو العنصر المشترك الذي يسمح بالدمج، ويتمثل في مفهوم التفوق، والتميز السعودي العابر للأزمان.

الفضاء المزيج، وهو النتاج الذهني النهائي (الهوية السعودية المعاصرة) حيث ينصهر الماضي والمستقبل في بنية إدراكية واحدة تنتج منطقاً داخلياً خاصاً (الأصالة وقود الحداثة).

أولاً: تداخل الماضي والحاضر في بناء الشرعية

يوظف الشاعر هذا المزج لترسيخ الشرعية الوطنية، كما يظهر في قصيدته التي يربط فيها بين الوفادة النبوية وعصر التأسيس، إذ يقول: (الخضير، 2017، ص. 46).

فَعَادَ بِي لِرَسُولِ اللهِ حِينَ أَتَى * وَفْدُ السَّلَامِ إِلَيْهِ فَانْتَشَى الْقَدَرُ

هُمْ عَبْدُ قَيْسٍ وَمَا زَالَتْ مَآثِرُهُمْ * مِنَ الْجَلَالِ وَفِيهَا الْخَيْرُ وَالْعِبَرُ

وَجَاءَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) فَاتِحًا بَطَلًا * وَوَحَّدَ الشَّعْبَ في راياته الظفر

وهنا يمكن القول إن الاستراتيجية الإقناعية تبرز للمزج بردم الفجوة الزمانية، مما يحول الشرعية من حدث تاريخي مدون إلى قيمة إدراكية حية، فدمج (فضاء الوفادة) بـ (فضاء التأسيس) ينتج فضاء مزيجاً تتجلى فيه الاستمرارية التاريخية، محولاً البيعة إلى نموذج أصلي للولاء يتجدد في كل عصر.

ثانياً: الجمع بين الأصالة والحداثة

وفي هذا الفضاء المزيج، تصبح النخلة رمز الأصالة هي ذاتها محرك الرؤية، كما نلحظ في قصيدته التي يقول فيها: (الخضير، 2013، ص. 9).

وَنَخْلَةُ العَزِّ تَسْمُو فِي مَرَابِعِنَا * مَا أجمل السَّعْفَ الْمَصْقُولَ وَالرُّطْبَا

خُذْنِي أَخَا الشِّعْرِ كَمْ أَزْهُو بِمَمْلَكَةٍ * غَطَّتْ بِأَمْجَادِهَا الأَعْجَامَ وَالعَرْبَا

فالشاعر هنا لا يشبه، بل يمزج، ليوحي بأن الانطلاق نحو العالمية يستند إلى سعف النخيل الممتد في تراب التاريخ. ويمتد هذا المزج ليشمل إعادة صياغة الذات السعودية متجاوزاً النظرة النمطية للآخر: (الخضير، 2022، ص. 21).

قالوا سعوديّونَ نسلُ بداوةٍ * شقُّوا الصحاري فارتقَوا تفضيلا

قالوا سعوديّون تحتَ شماغِهم * عقلٌ تجاوزَ في العلومِ عُقُولا

فهنا يدمج الشاعر بين فضاء البداوة والشماغ، وفضاء الحداثة وتجاوز العقول، لتصبح الأصالة في الفضاء المزيج هي الدافع للارتقاء المعرفي، مما يجعل المتلقي يدرك أن القوة السعودية ليست وليدة الصدفة، بل هي جينات حضارية انتقلت من الفضاء الأول إلى الثاني. حيث يقوم الشاعر بدمج عناصر الأصالة (النخل، الفروسية، الشماغ) بعناصر الحداثة (العلم، الرؤية، العالمية) داخل فضاء مزيج ينتج هوية سعودية ثالثة، لا تفصل بين الجذور والمنجز، بل تجعل الأولى شرطاً لإمكان الثانية.

ويبدو أن عملية المزج هنا تتجاوز الاقتران التقليدي بين (الشماغ/الأصالة) و(العلم/المعاصرة) فالشاعر يشغل الفضاء المزيج لإنتاج هوية سعودية ثالثة. ففي هذا الفضاء، لا يعود الشماغ مجرد زي تقليدي، بل يتحول إلى حاوية إدراكية للذكاء والتفوق. وهذا المزج يمارس وظيفة حجاجية بالغة، فهو يرد على الدحض المتوقع من الآخر – الذي قد يربط الأصالة بالجمود – محولاً الرمز التراثي إلى محرك للنهضة العلمية.

ويتجلى تداخل الذاتي والجمعي ضمن فضاء المزج المفهومي في التعبير عن الانتماء، في قول الشاعر: (الخضير، 2015).

هذي بلادي وكم أشدو بعزّتها * نحن النوارس بالواحات نتصلُ

فقوله: هذي بلادي، بصيغة المفرد (ذاتي)، وقوله: نحن النوارس، بصيغة الجمع (جمعي) وقد بدأ الشاعر بـ (أنا) وانتهى بـ (نحن) وهذا الانتقال يعني أنه لا يرى فرقاً بينه وبين بقية السعوديين، هو نوارس، وهم نوارس، هو يشدو وهم يعتزون. وهنا تندمج الذات الشاعرة مع موضوع الوطن في بنية شعورية واحدة، منتجة فضاء مزيجاً يذيب الحدود بين التجربة الفردية والهوية الجماعية، ويجعل الانتماء تمثلاً إدراكياً مستمراً.

ويمتد هذا المزج المفهومي ليشمل تشكيل صورة القيادة ضمن فضاء إنساني عالمي، حيث لا تقتصر على بعدها المحلي، بل تتحول إلى نموذج أخلاقي كوني. ويتجلى ذلك في اعتماد الشاعر على حجاج القدوة من خلال ربط القيم بالفعل الإنساني، كما في قوله: (الخضير، 2022، ص. 100).

رَسَمْتُمْ بِصَنِيعِ الْخَيْرِ مَكْرُمَةً * نَصَرْتُمُ الْعِلْمَ وَالْإِسْلَامَ وَالْعَرَبَا

فإن الانتقال من مدح الذات إلى مدح الفعل يسهم في إنتاج فضاء مزيج تتداخل فيه القيم الوطنية مع القيم الإنسانية، مما يمنح الخطاب بعداً كونياً يتجاوز الحدود الجغرافية.

ويبلغ هذا المزج ذروته في إعادة صياغة سيمياء الفارس ضمن بنية إدراكية جديدة، حيث يتم دمج فضاء الفروسية التراثية بفضاء العمل الإنساني المعاصر، كما في قوله: (الخضير، 2022، ص. 100).

يَا فَارِسَ الْجُودِ كَمْ جَادَتْ سَحَائِبُكُمْ * فَظَلَّلْتَنَا وَصَاغَتْ أَرْضَنَا ذَهَبَا

فالفارس هنا لم يعد مقاتلاً فحسب، بل غدا فاعلاً إنسانياً ينتج الخير ويمنحه، وهو ما يمثل عملية مزج مفهومي بين النخوة (تراث) والعطاء (حداثة) وبهذا يعاد تعريف القوة بوصفها قوة تأثير معنوي قائمة على الإحسان والتأثير الرمزي، مما يعزز صورة الهوية الوطنية في بعدها العالمي. فالمزج المفهومي يحدث هنا بين فضاء (الفروسية) بما يحمله من دلالات القوة المادية والنزاع التاريخي، وفضاء (الجود/السحائب) بما يحمله من دلالات العطاء واللين، لينتج فضاء ثالثاً هو (الفارس الإنساني) وهي صورة ذهنية تعيد بناء الهوية الوطنية السعودية في المحافل الدولية، حيث تتحول القوة من (السيف) إلى (الإحسان)، وهو ما يمنح الخطاب الشعري قدرة إقناعية تتجاوز الحدود المحلية إلى آفاق كونية. وإليك مثالاً لمخطط المزج المفهومي للهوية عند الخضير:

المزج المفهومي للهوية لدى الخضير

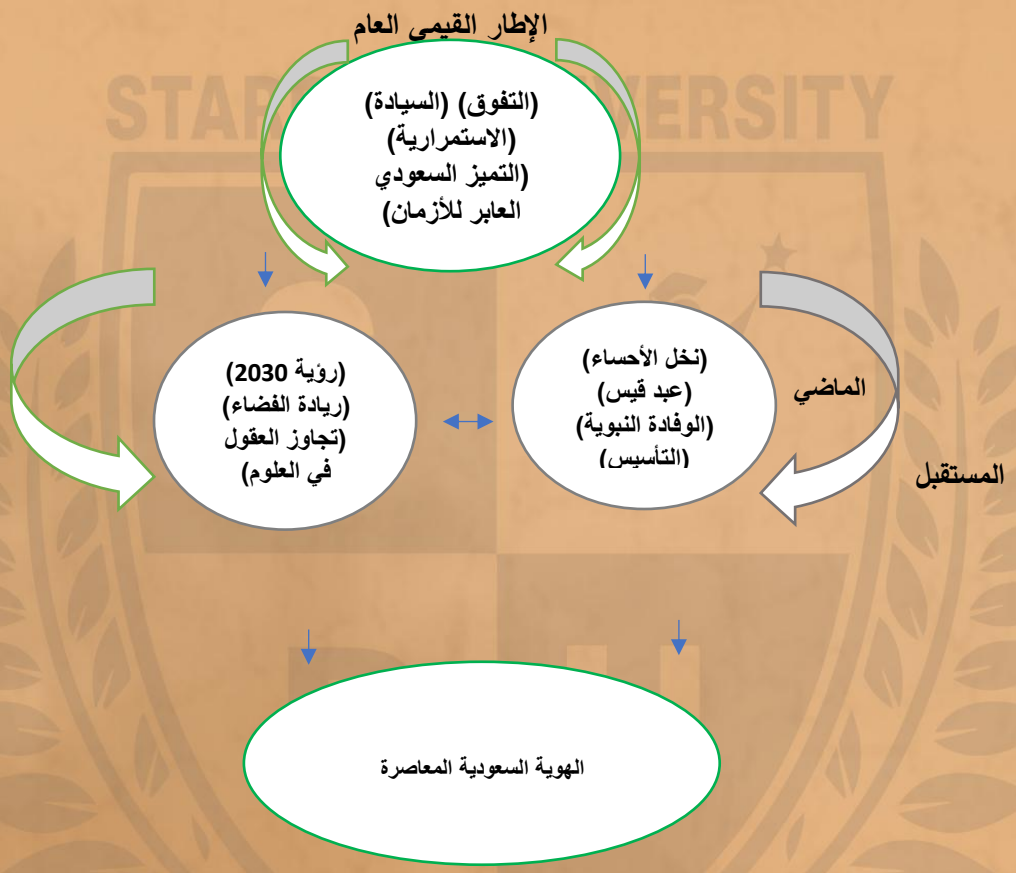

هذا المخطط يوضح، آليات الاشتغال العرفاني في خطاب الخضير، حيث لا يكتفي النص باستحضار الماضي كذاكرة صماء، بل يقوم بعملية إسقاط تصوري من فضاء (الجذور) وفضاء (الرؤية) لينتجا معاً فضاء مزيجاً. في هذا الفضاء تولد دلالات جديدة لم تكن موجودة في الفضاءات.

ثالثاً: التجسيد ودوره في تعزيز الإقناع

يتجلى التجسيد الإدراكي في خطاب الخضير عبر تحويل القيم المجردة إلى كيانات مادية مدركة، كما في قوله: (الخضير، 2015).

هَذِي بِلَادِي وَتَاجُ الْعِزِّ أَرْفَعُهُ * بِنَايفِ الْأَمْنِ نَهْجُ الدِّينِ يَكْتَمِلُ

حيث تُجسد قيمة (العز) في صورة مادية (تاج) مما يعكس اشتغال الاستعارة الأنطولوجية التي تحول المفهوم المجرد إلى كيان قابل للإدراك الحسي. فالشاعر لا يكتفي بعرض القيم المجردة، بل يحولها إلى صور محسوسة قادرة على التأثير في المتلقي. فقوله (هذي بلادي وتاج العز أرفعه) يقوم على استعارة أنطولوجية، حيث تتحول قيمة **العز** من مفهوم معنوي مجرد إلى **تاج**، وهو كيان مادي مرئي. هذا التحويل يحقق عدة وظائف إقناعية:

أولاً: يجعل القيمة المجردة قابلة للإدراك الحسي، فبدلاً من أن يبقى "العز" فكرة ذهنية، يصبح شيئاً يُرى ويُحمل ويُرفع، مما يقربه من تجربة المتلقي .

ثانياً: يوحي التاج بدلالات ثقافية راسخة مثل السيادة والرفعة والسلطة، وهو ما يعزز دلالة العز ويمنحها بعداً رمزياً قوياً .

ثالثاً: قوله(أرفعه) يضيف بعداً حركياً، فيجعل الذات الشاعرة فاعلة في إنتاج هذا العز وحمايته، لا مجرد متلقية له .أما قوله (بنايف الأمن نهج الدين يكتمل) فيربط بين الأمن واكتمال الدين، فيجسد الأمن كأنه دعامة مادية أو فضاء واقعي يتحقق داخله الكمال القيمي، مما يعمق البنية الحجاجية عبر الربط بين المحسوس (الأمن) والمجرد (الدين). وبذلك، يسهم التجسيد في تعزيز الإقناع لأنه ينقل الخطاب من التجريد إلى التجربة الحسية، ويكثف الدلالة الرمزية، ويمنح القيم طابعاً واقعياً ملموساً، يجعلها أقرب إلى التصديق والتبني.

ولا يقف التجسيد عند حدود الرموز الثابتة، بل يبلغ ذروته حين يصور الشاعر الرؤية الوطنية كجسر يربط بين التخطيط والتحقق الواقعي في قوله: (الخضير، 2022، ص. 15).

فِي عَيْنِهِ هِمَمُ الرِّجَالِ وَعَزْمُهَا * كُلٌّ يُصَافِحُ وَاقِعًا مَأْمُولَا

فإن اختيار فعل (يصافح) يمثل ذروة التجسيد الإدراكي، ناقلاً الرؤية من التجريد الذهني إلى الإدراك الحسي. فهذا البيت – حسب رأي الباحث – يقوم على تصعيد واضح في توظيف التجسيد الإدراكي، إذ ينتقل الشاعر من مجرد تمثيل القيم إلى إحيائها ومنحها سلوكاً إنسانياً يجعلها فاعلة في الواقع .فقوله (في عينه همم الرجال وعزمها) يجعل العين فضاء حاوياً للرؤية الوطنية، بحيث تختزن بداخلها الهمم والعزائم، وهما في الأصل قيم معنوية، لكن هذه القيم هنا تتحول إلى مكونات شبه ملموسة، وكأنها أشياء يمكن احتواؤها ورؤيتها، مما يعزز حضورها الإدراكي.

وتبلغ الذروة الحجاجية ظهورها في قوله (كل يصافح واقعًا مأمولاً) فاختيار فعل(يصافح) ليس اختياراً عشوائياً، بل لينقل القيم من مستوى التجريد إلى فعل جسدي تواصلي. فالمصافحة فعل إنساني يدل على اللقاء، والاعتراف، والتقارب، وبالتالي تتحول الهمم والعزائم إلى كيانات قادرة على الفعل والحركة . ويجسد ذلك الواقع المأمول كأنه شخص حاضر يمكن مصافحته، لا مجرد فكرة وؤجلة. وبذلك ينشأ تفاعل حي بين التخطيط (الرؤية) والتحقق (الواقع)، حيث لا يعود الانتقال بينهما ذهنياً فقط، بل يصبح لقاء محسوساً. وبهذا يحقق التجسيد عدة وظائف إقناعي، فيختصر المسافة بين الممكن والمتحقق، عبر تصويرهما في علاقة مباشرة .ويمنح الرؤية الوطنية طابعاً عملياً قابلاً للإنجاز، لا مجرد طموح نظري. .ويعزز ثقة المتلقي بأن ما يُتَصور يمكن أن يعاش، لأن اللغة نفسها قد حولته إلى تجربة حسية . إذن فإنّفعل (يصافح) يمثل ذروة التجسيد، لأنه لا يكتفي بتجسيم المعنى، بل يدخله في شبكة من الأفعال الإنسانية التي تجعل الخطاب أكثر حيوية وقدرة على الإقناع.

وينتهي هذا المسار بمرحلة التحصين عبر مخطط القوة الدافعة في صورة البركان، إذ يقول الشاعر: (الخضير، 2023).

إن كنتَ تنعقُ بالألفاظِ كاذبةً * فنحن بالصدقِ جُندٌ فوقَ بُركانِ

وهنا يوظف الخضير مخطط القوة الدافعة عبر استعارة البركان، ليمزج بين الثبات المكاني (الجبل/الأرض) وبين القوة الانفجارية (الفعل الوطني). وهذا المزج المفهومي ينتج صورة للوطن بوصفه كياناً ساكناً يحمي، ومنفجراً يردع في آن واحد. ومن الناحية الحجاجية، فإن هذا المزج يعمل كأداة للتحصين الإدراكي للمتلقي، حيث ينقل إليه شعوراً بالأمان المستند إلى القوة الكامنة، مما يعزز الثقة في المنجز الوطني. وبهذا يبلغ الخطاب ذروة التحصين الحجاجي عبر توظيف صورة مركبة تقوم على مخطط القوة الدافعة، حيث يستثمر الشاعر طاقة الطبيعة ليحولها إلى طاقة معنوية دفاعية.

يبدأ الشاعر بالتقابل في قوله (إن كنت تنعق بالألفاظ كاذبة) حيث يحيل فعل (تنعق) إلى صوت الغراب، بما يحمله من دلالات سلبية (الضجيج، التشويش، إلخ...)، فيضعف موقف الخصم ويفرغه من المصداقية. وفي المقابل، يثبت الشاعر ذاته الجماعية بقوله (فنحن بالصدق جند) فيؤسس ثنائية حجاجية بين الزيف والصدق، تجعل الصدق قاعدة أخلاقية وقوة دفاعية في آن واحد. لكن الذروة التصويرية تتجلى في قوله (فوق بركان)حيث تتكثف دلالات التجسيد والقوة في صورة واحدة، فالبركان يجمع بين الثبات المكاني (الأرض/الجبل) والقوة الانفجارية الكامنة (الطاقة القادرة على الردع).

وتموضع الجند فوق البركان يوحي بالسيطرة على هذه القوة، لا الخضوع لها، أي أنهم يمتلكون زمامها ويوجهونها .وبهذا المزج المفهومي تنتج صورة مركبة للوطن أو الجماعة، فهو كيان ثابت يمنح الأمان والاستقرار، وكيان قادر على الانفجار عند التهديد، بما يحقق الردع والحماية .

ومن منظور حجاجي، تؤدي هذه الصورة وظيفة التحصين الإدراكي، فتبث في المتلقي شعوراً بالأمان، لأن القوة موجودة حتى في حال السكون . وتُنشئ ثقة بامتلاك قوة كامنة جاهزة للتفعيل .كما تجعل الصدق نفسه مرتبطاً بالقوة، لا بالضعف، فيتحول إلى عنصر تفوق لا مجرد قيمة أخلاقية. وبهذا لا يكتفي الشاعر بالدفاع عن موقفه، بل يبني جداراً إدراكياً يحصن المتلقي نفسياً، عبر صورة البركان التي تجمع بين الطمأنينة والهيبة في آن واحد.

ويصل هذا التجسيد قمته بربط الفعل الوطني بالطقس التعبدي في قوله: (الخضير، 2023).

على ترابِكَ أجثو ساجداً، ودمي * فداك، تحملني آيـاتُ قــرآنِ

حيث يتحول التراب في الفضاء المزيج إلى سجادة صلاة كبرى، ويصبح الانتماء والذود عن الوطن واجباً إيمانياً متجذراً في العقيدة. وبهذا يبلغ التجسيد ذروته عبر تقديس الفعل الوطني وإدخاله في دائرة الطقس التعبدي، بحيث لا يعود الانتماء مجرد موقف وجداني، بل يتحول إلى ممارسة إيمانية .فقوله (على ترابك أجثو ساجداً) يقوم على استعارة مكثفة، إذ يتحول التراب من عنصر مادي بسيط إلى سجادة صلاة كبرى . وبهذا التحويل يُمنح المكان بعداً قدسياً، فيغدو الوطن فضاء للعبادة لا مجرد حيز جغرافي. ويتحول فعل الانتماء إلى سجود، وهو أعلى درجات الخضوع والتعظيم، مما يرفع قيمة الوطن في الوجدان. ثم يأتي قوله (ودمي فداك) ليعمق هذا البعد، حيث يقدم **الدم** بوصفه قرباناً، فيتداخل الديني (الفداء/التضحية) مع الوطني، ليؤسس علاقة تقوم على البذل المطلق. أما عبارة (تحملني آيات قرآن) فتمثل ذروة الدمج بين الوطني والديني، إذ تُصور الآيات كقوة دافعة أو حاملة، توجه الفعل وتمنحه شرعيته. وهنا يصبح الفعل الوطني مؤطَّراً بالوحي، لا مجرد اجتهاد بشري . ويتحول الدفاع عن الوطن إلى امتداد للإيمان، لا انفصال عنه . ويحقق هذا التجسيد عدة وظائف حجاجية، منها تعزيز الإقناع عبر نقل الفعل الوطني إلى مستوى الواجب الديني .وتعزيز التحصين القيمي، إذ يجعل الاعتراض على هذا الفعل أشبه بالاعتراض على قيمة مقدسة . وتوحيد المرجعيات (الوطن/الدين)، مما يخلق بنية متماسكة يصعب تفكيكها . فالشاعر لا يكتفي بتجسيد الوطن، بل يجعل الانتماء له فعلاً تعبدياً متجذراً في العقيدة، وهو ما يمنح الخطاب أعلى درجات التأثير والإلزام.

وبهذا، نخلص إلى أن استراتيجية المزج عند الخضير هي بناء ذهنية تعيد تشكيل الهوية الوطنية عبر ربط بنيوية الجذور بحركة المستقبل، مانحة القيمة الوطنية مشروعيتها التاريخية وطموحها العالمي في آن واحد. وبذلك لا يُقدم الماضي بوصفه ذاكرة منغلقة، ولا المستقبل بوصفه قطيعة، بل ينجز عبر آلية المزج المفهومي إعادة تركيب تصورية تجعل من عناصر الأصالة (النخل، الفروسية، الشماغ) بنى مولدة لعناصر الحداثة (العلم، الرؤية، العولمة القيمية)، لينتج عن ذلك فضاء مزيج تتشكل فيه سعودية الغد بوصفها هوية متجانسة تجمع بين عمق الجذور واتساع الأفق .ومن ثم، لا تقتصر هذه الآلية على إعادة تركيب البنى الدلالية، بل تنهض بوظيفة حجاجية مركبة، تسهم في بناء تصور فكري متماسك يدمج بين مشروعية الماضي وفاعلية الحاضر وطموح المستقبل، بما يعزز قبول المتلقي للقيم الوطنية بوصفها نسقاً منطقياً متسقاً، ويحقق درجة عالية من الإقناع عبر تحصينها معرفياً ضد أي خطاب مناقض.

في ضوء ما سبق، يرى الباحث أن بناء القيمة الوطنية عند الشاعر قد تجاوزت حدود التشكيل البلاغي إلى بناء نسق إدراكي حجاجي متدرج، تتكامل فيه مستويات الدلالة من المحلي إلى الكوني، إذ انطلقت من أنسنة المكان بوصفه حاملاً للشرعية، ثم انتقلت إلى تجسيد الهوية في البنية الجسدية بوصفها تجربة وجودية معاشة، قبل أن تنصهر هذه المستويات في فضاءات المزج المفهومي التي أعادت بناء العلاقة بين الجذور التاريخية والمنجز المعاصر.

وقد أتاح هذا التدرّج البنيوي، المدعوم بتفعيل المخططات الذهنية كالحاوية والقوة والمسار، وبالتكامل بين الحجاج البلاغي والتحليل العرفاني، إنتاج بنية دلالية موحدة ترسخ الشرعية الوطنية في بعدها التاريخي والإنجازي معاً، وتحول النص الشعري من بناء جمالي إلى فعل إقناعي موجه للوعي الجمعي. كما أسهم هذا البناء المتكامل في نقل القيمة الوطنية من إطارها المحلي إلى أفق إنساني أوسع، حيث غدت مفهوماً قابلاً للامتداد والتداول، يستند إلى عمق حضاري راسخ، ويتجلى في صور رمزية تعزز حضورها ضمن خطاب عالمي قائم على التأثير المعنوي والتمكين المعرفي.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة التحليلية التي استنطقت نماذج من الشعر الاحتفائي للشاعر عبد الله الخضير في ضوء المزاوجة بين تداولية الحجاج واللسانيات العرفانية، تظهر لنا قدرة النص الشعري الاحتفائي على تجاوز الأطر التقليدية للمدح، ليصبح مختبراً لإنتاج القيم الوطنية وإعادة بنائها معرفياً، إذ لم تكن الأدوات المنهجية مجرد واصفة للنص، بل كانت كاشفة عن آليات واعية في بناء صورة الوطن والقيادة والمنجز. وبناء على ما تقدم من تتبع للمستويات المكانية والجسدية والتاريخية والقيمية، خلص البحث إلى مجموعة من النتائج التي توضح آليات بناء القيمة الوطنية في تلك النماذج، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أثبت البحث قدرة الخطاب الشعري عند الدكتور عبد الله الخضير على تجاوز النمط التقليدي لقصيدة المناسبات، عبر تحويلها إلى فعل إنجازي يسهم في تشكيل الوعي الجمعي وترسيخ القيم الوطنية بوصفها ميثاقاً إدراكياً بين المواطن والقيادة والتراب.

برزت فاعلية الحجاج بالمنجز كبديل للمدح الذاتي، حيث نجح الشاعر في تحويل رؤية المملكة (2030) ومنجزات الشباب في المحافل الدولية إلى حجج دامغة، محولاً صورة البداوة من إرث ماض إلى طاقة محركة للتفوق العلمي المعاصر.

نجحت الآليات العرفانية في أنسنة المكان السعودي، ونقله من حيز الجغرافيا الصامتة إلى فضاء الذات الناطقة التي تتسم بالصلابة والثبات، مع عولمة هذه القيمة عبر استعارات الغيث والشمس لتكريس صورة المملكة كقوة تأثر معنوي فاعلة إنسانياً.

أظهر البحث فاعلية الاستعارات الأنطولوجية في تجسيد المفاهيم الوطنية، وعن حضور حجاج القدوة من خلال تمثيل القيادة بوصفها نموذجاً مرجعياً يعزز الإذعان القيمي.

كشف البحث عن تجسيد الهوية وطنياً وبيولوجياً عبر توظيف مفهوم الذهن المتجسد، إذ لم يعد الوطن فكرة مجردة، بل تحول إلى شرط وجودي يسكن النبض والشرايين والعمليات الحيوية للجسد، مما يجعل الانتماء ضرورة فطرية للبقاء.

أسهمت آلية المزج المفهومي في ترسيخ الشرعية التاريخية والسياسية من خلال دمج فضاءات زمنية متباعدة (التأسيس والرؤية) في فضاء مزيج واحد، مما منح الدولة عمقاً عقدياً وتاريخياً يربط عراقة الجذور بطموح المستقبل.

كشف البحث عن استراتيجية التحصين المعرفي التي وظفها الشاعر لتحصين الهوية ضد الخطاب المعادي، معتمداً على تداخل الديني والوطني عبر إسقاط طقس السجود على تراب الوطن، مما جعل الدفاع عن الأرض واجباً إيمانياً لا يقبل التجزئة.

قدم البحث نموذجاً تطبيقياً ناجحاً لتكامل المناهج النقدية الحديثة، عبر المزاوجة بين الحجاج واللسانيات العرفانية، مما أتاح أداة قادرة على تفسير التأثير متعدد المستويات للنص الشعري في بناء التصورات الذهنية الكبرى.

وبذلك يتضح أن الخطاب الشعري الاحتفائي عند الخضير لم يكتف ببناء القيم الوطنية، بل أسهم في تحقيق الإقناع بها عبر تكامل المسارات الحجاجية والعرفانية، مما عزز حضورها في الوعي الجمعي للمتلقي.

توصيات:

انطلاقاً من النتائج التي توصل إليها البحث، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات البحثية تتمثل الآتي:

التوسع في دراسة الشعر الوطني المعاصر، وتجاوز القراءات الانطباعية التقليدية، من خلال توظيف المناهج البينية – لا سيما المزاوجة بين اللسانيات العرفانية والحجاج – بما يسهم في الكشف عن آليات تشكيل الوعي وبناء الإقناع في الخطاب الأدبي.

توجيه الباحثين – خاصة طلاب الدراسات العليا – إلى دراسة الصورة الذهنية للرؤية الوطنية في الخطاب الإبداعي السعودي، لرصد الكيفية التي يتحول بها المنجز التنموي إلى بنية إدراكية وجمالية فاعلة تسهم في تشكيل الهوية الوطنية المعاصرة وتعزيز حضورها في الوعي الجمعي.

إجراء دراسات مقارنة بين شعراء معاصرين في تمثيل ثنائية الأصالة والمعاصرة، في ضوء نظرية المزج المفهومي، للكشف عن التباينات في آليات البناء الإدراكي والحجاجي للهوية الوطنية.

الإفادة من اللسانيات العرفانية في تطوير المناهج النقدية، من خلال إدراج مفاهيمها ضمن مقررات تحليل الخطاب الأدبي، بما يعزز قدرة الطلاب على فهم النصوص بوصفها عمليات ذهنية متجسدة تتفاعل مع الجسد والبيئة والثقافة.

توسيع نطاق البحث ليشمل أجناساً أدبية أخرى كالخطاب السردي أو الإعلامي، لدراسة آليات بناء القيم الوطنية والإقناع بها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

الخضير، عبد الله بن علي . (2022) .*أغنيات من بقايا المدينة* .شركة تكوين المتحدة للنشر والتوزيع.

الخضير، عبد الله .(2017) . *وجع بامتداد دمي* .النادي الأدبي الثقافي بالحدود الشمالية.

الخضير، عبد الله .(2013) . *هذا قدري* .نادي الأحساء الأدبي.

الخضير، عبد الله .(2026) .*قصيدة بمناسبة يوم التأسيس في قصر أمير مكة بحضور نائب الأمير صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن مشعل بن عبد العزيز* [Video]. YouTube. https://youtu.be/fjpahBFvtDo

الخضير، عبد الله .(2023) .*قصيدة بمناسبة اليوم الوطني (مهرجان دارين الشعري – نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام)* [Video]. YouTube. https://youtu.be/fjpahBFvtDo

الخضير، عبد الله .(2015) .*قصيدة أمام الملك سلمان بن عبد العزيز (حين كان وليًا للعهد) في قصر الخليج بالدمام أثناء زيارته للمنطقة الشرقية* [Video]. YouTube. https://youtu.be/Ud0a4cNnxIw

ثانياً: المراجع

الزناد، الأزهر .(2010) . *نظريات لسانية عرفانية* .دار محمد علي للنشر.

الزناد، الأزهر (مترجم) .(2011) . *مدخل في نظرية المزح* (تأليف مارك تورنر). جامعة منوبة.

روبول، آن، وموشلر، جاك .(2003) .*التداولية اليوم: علم جديد في التواصل* (ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني). دار الطليعة للطباعة والنشر.

سيرل، جون .(2003) . *أفعال الكلام: بحث في فلسفة اللغة* (ترجمة معتز سيد عبد الله). دار غريب للطباعة والنشر.

صولة، عبد الله .(2011) . *في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات* .مسكيلياني للنشر والتوزيع.

العزاوي، أبو بكر .(2006) . *اللغة والحجاج* .مطبعة النجاح الجديدة.

العمري، محمد .(2002) . *في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة* (ط2). إفريقيا الشرق.

الغذامي، عبد الله .(2005) .*النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية* (ط3). المركز الثقافي العربي.

ليكوف، جورج، وجونسون، مارك .(2009) .*الاستعارات التي نحيا بها* (ترجمة عبد المجيد جحفة). دار توبقال للنشر.

ليكوف، جورج، وجونسون، مارك .(2016) .*الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي* (ترجمة عبد المجيد جحفة). دار الكتاب الجديد المتحدة.

مشبال، محمد .(2017) . *البلاغة والحجاج* . دار الكتاب الجديد المتحدة.

مصمودي، وسيمة .(2017) . *المقاربات العرفانية وتحديث الفكر البلاغي* . كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

أولاً: المصادر

Al-Khudayr, ʿAbd Allāh ibn ʿAlī. (2022). *Ughniyyāt min Baqāyā al-Madīnah*. Sharikat Takwīn al-Muttaḥidah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Al-Khudayr, ʿAbd Allāh. (2017). *Wajaʿ bi-Imtidād Damī*. Al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī bi-al-Ḥudūd al-Shamāliyya.

Al-Khudayr, ʿAbd Allāh. (2013). *Hādhā Qadarī*. Nādī al-Aḥsāʾ al-Adabī.

Al-Khudayr, ʿAbd Allāh. (2026). *Qaṣīdah bi-Munāsabat Yawm al-Taʾsīs fī Qaṣr Amīr Makkah bi-Ḥuḍūr Nāʾib al-Amīr Suʿūd ibn Mishʿal ibn ʿAbd al-ʿAzīz* [Video]. YouTube. https://youtu.be/fjpahBFvtDo

Al-Khudayr, ʿAbd Allāh. (2023). *Qaṣīdah bi-Munāsabat al-Yawm al-Waṭanī (Mahrājān Dārīn al-Shiʿrī – Nādī al-Sharqiyyah al-Adabī, al-Dammām)* [Video]. YouTube. https://youtu.be/fjpahBFvtDo

Al-Khudayr, ʿAbd Allāh. (2015). *Qaṣīdah Amām al-Malik Salmān ibn ʿAbd al-ʿAzīz (ḥīna kāna Walī al-ʿAhd) fī Qaṣr al-Khalīj bi-al-Dammām athnāʾ ziyāratihi lil-Minṭaqah al-Sharqiyyah* [Video]. YouTube. https://youtu.be/Ud0a4cNnxIw

ثانياً: المراجع

Al-Zannād, Al-Azhar. (2010). *Naẓariyyāt Lisāniyyah ʿIrfāniyyah*. Dār Muḥammad ʿAlī lil-Nashr.

Al-Zannād, Al-Azhar. (Trans.). (2011). *Madkhal fī Naẓariyyat al-Mazj* (M. Turner, Author). Jāmiʿat Manūbah.

Rouboul, Anne, & Moeschler, Jacques. (2003). *Al-Tadāwuliyyah al-Yawm: ʿIlm Jadīd fī al-Tawāṣul* (S. al-Dīn Daghfūs & M. al-Shaybānī, Trans.). Dār al-Ṭalīʿah.

Searle, John. (2003). *Afʿāl al-Kalām: Baḥth fī Falsafat al-Lughah* (M. Sayyid ʿAbd Allāh, Trans.). Dār Gharīb lil-Ṭibāʿah wa-al-Nashr.

Ṣawlah, ʿAbd Allāh. (2011). *Fī Naẓariyyat al-Ḥijāj: Dirāsāt wa-Taṭbīqāt*. Miskilīānī lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Al-ʿAzzāwī, Abū Bakr. (2006). *Al-Lughah wa-al-Ḥijāj*. Maṭbaʿat al-Najāḥ al-Jadīdah.

Al-ʿUmrī, Muḥammad. (2002). *Fī Balāghat al-Khiṭāb al-Iqnāʿī: Madkhal Naẓarī wa-Taṭbīqī li-Dirāsat al-Khiṭābah*. Ifrīqiyā al-Sharq.

Al-Ghadhdhāmī, ʿAbd Allāh. (2005). *Al-Naqd al-Thaqāfī: Qirāʾah fī al-Ansāq al-Thaqāfiyyah al-ʿArabiyyah*. Al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī.

Lakoff, George, & Johnson, Mark. (2009). *Al-Istiʿārāt allatī Naḥyā bihā* (ʿAbd al-Majīd Jaḥfah, Trans.). Dār Tūbqāl lil-Nashr.Lakoff, George, & Johnson,

Mark. (2016). *Al-Falsafah fī al-Jasad: Al-Dhihn al-Mutajassid wa-Taḥaddīh lil-Fikr al-Gharbī* (ʿAbd al-Majīd Jaḥfah, Trans.). Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah.

Mushbāl, Muḥammad. (2017). *Al-Balāghah wa-al-Ḥijāj*. Dār al-Kitāb al-Jadīd al-Muttaḥidah.

Maṣmūdī, Wasīmah. (2017). *Al-Muqārabāt al-ʿIrfāniyyah wa-Taḥdīth al-Fikr al-Balāghī*. Kunūz al-Maʿrifah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

(*) الدكتور عبد الله بن علي الخضير شاعر وباحث سعودي، ولد في محافظة الأحساء، مدينة المبرز عام 1971م. حصل على دكتوراه في الفلسفة في الأدب والنقد من جامعة الملك فيصل. صدرت له مجموعات شعرية، منها: هذا قدري (2012م)، وجع بامتداد دمي (2017م)، مرايا من روحي (2018م)، أرجوحة من قلق (2019م)، وليتني أنا، وألتقي بي (2020م). وله مساهمات في أدب الرحلة والصحافة والنقد الأدبي، منها: غربة بطعم كارتالا – رحلة من الأحساء إلى جزر القمر (2021م)، وعاشوا في ذاكرتي (2021م). وله دراسات نقدية منها: صورة المرأة في شعر أحمد الصالح – مسافر (دراسة أسلوبية) (2016م). التوظيف التداولي لأسماء الإعلام المرجعية في الشعر السعودي (2022م).

جامعة ستاردوم

مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية

- مجلة ستاردوم العلمية المحكمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية -

تصدر بشكل ربع سنوي عن جامعة ستاردوم

العدد الثاني - المجلد الرابع 2026م

رقم الإيداع الدولي: ISSN 2980-3772